

٢٢٧

من المسرح العالمي

الضوء يسطع في الظلام

تأليف : ليون تولستوي

ترجمة وتقديم : د. فوزي عطية

مراجعة : د. نادية إمام سلطان

تصدر عن وزارة الإعلام الكويت

أول أغسطس ١٩٨٨

سلسلة
من
المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

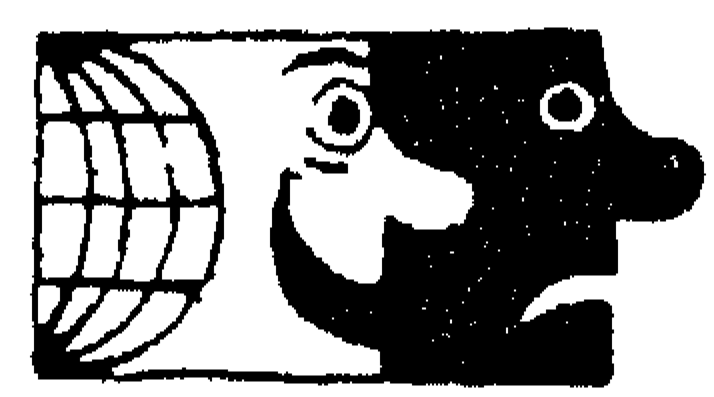
حمد يوسف الرّومي
الوكيل المساعد لشئون الثقافة والصحافة والرقابة

د. محمّد مبارك بلال
رئيس قسم النقد والأدب المسرحي
المعهد العالي للفنون المسرحية

المراسلات باسم:

الوكيل المساعد لشئون الثقافة والصحافة والرقابة
وزارة الاعلام
ص.ب ١٩٣





من المسرح العالمي

الضوء يسطع في الظلام

تأليف : ليون تولستوي

ترجمة وتقديم : د. فوزي عطية

مراجعة : د. نادية إمام سلطان

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

مقدمة بقلم المترجم

« والضوء يسطع في الظلام » مسرحية لم يكملها ليون تولستوى ، فجاءت في أربعة فصول بدلا من خمسة كما كان يخطط لها ، فضلا عن أنه لم يتمكن من صياغتها صياغة نهائية ، ولذا لم تصدر الا عام ١٩١١ وبعد مماته . ورغم ذلك فان هذه المسرحية تمثل أهمية كبرى في فهم شخصية تولستوى وفكره الديني والاجتماعي والسياسى . فالمسرحية تصوير درامي للكثير من تفاصيل حياة تولستوى بعد سيطرة النزعة الصوفية على فكره في أعقاب حياة عادية استمرت حوالي الخمسين عاما ، كان تولستوى خلالها من كبار الملاك ممن ينتمون الى طبقة الارستقراط الروسية وما ترتبط به حياتهم من مسايرة لفنون العبث والتمتع بمباهج وملذات الحياة ، هذا بجانب أنه كان قد بلغ في هذا العمر ذروة الشهرة والمجد كفنان كبير مبدع في مختلف فنون الادب . (١)

لم يكن تحول تولستوى الى الاتجاه الصوفي سوى نتيجة حتمية لوقفة رجل مع النفس .. رجل عاش دنياه بطولها وعرضها .. رجل حقق الكثير من طموحات الحياة الدنيوية .. رجل عاش خمسين عاما ، منها ـ كما يقول في مذكراته اليومية ـ حوالي ١٥ عاما من الطفولة اللاواعية ، كانت بداية وقفة تولستوى مع نفسه تساؤل يبدو بسيطا في شكله عميقا في جوهره « ما مغنى الحياة وما الهدف الذي يحيا من أجله المرء ؟ » ومع هذا التساؤل يخوض تولستوى اسرار الذات وحكمة الكون ، ويخرج بمباديء وأحكام يصيغها دراميا على لسان نيقلاي ايفانفتش صارينتسف بطل مسرحية « والضوء يسطع فى الظلام » .

كانت رحلة تولستوى نحو الخروج بمبادىء المحبة والتسامح

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل حول حياة تولستوى انظر العدد (١٦١) من سلسلة « من المسرح العالمى » ، فبراير ١٩٨٣ . وزارة الاعلام ـ الكويت .

والزهد والمساواة رحلة طويلة من الشك والقلق والانفعالات ، صاغها في عمل أدبي ممتع بعنوان « اعتراف » (٢) ، وكأنه يريد به تطهير النفس بذكر الدوافع والعلل التي أوصلته الى المثاليات التي كان ينادي بها هو وبطل مسرحيته نيقلاي ايفانفتش . في بادىء الامر نظر تولستوي الى ابناء الوسط الذي يعيشه ، فوجد الكثيرين يعيشون وفق مبادىء لا تتفق ومعتقداتهم الدينية ، بل تتناقض معها في أغلب الاحيان ، وان كان السلوك لا يعتبر مؤشرا يوضح ايمان المرء من عدم ايمانه . فسلوك غلاة المؤمنين يتسم في كثير من الاحيان بغلظة القلب والبعد عن الخلق السوي ، بينما العقل والشرف والصراحة وسعة الصدر والاخلاق الحميدة صفات تميز الكثيرين ممن يعتبرون أنفسم غير مؤمنين . والى جانب هذا التناقض وجد تولستوى أن المعايير الاخلاقية بين أبناء وسطه مقلوبة الاوضاع . فحب الذات والتسلط ، التفاخر والتكبر ، حب الشهوات والعبث ، الثأر والانتقام والاحقاد — كلها معايير محمودة تثير الثناء ، حين يبعث السلوك القويم على السخرية . ويخرج تولستوى بملاحظاته من دائرة أبناء وسطه الى معشر الادباء والفنانين ، فيرى أنهم ينظرون الى الحياة نظرة هادئة ، اذ أن الحياة تتطور ، وهم كرجال فكر وفن يشاركون في هذا التطور بصورة غير مباشرة بتعليم الناس بغض النظر عن فحوى ما يعلمونه لهم . ورغم هذه الرسالة السامية المقصد ، وجد تولستوى حملة الفكر والقلم منقسمين على أنفسهم ، فالبعض يقول انه الاقدر والاجدى في تعليم الناس ، والبعض الآخر ينتقد هؤلاء ويرميهم بالحيدة عن الصواب والجهل .. وهؤلاء وأولئك يتجادلون ويتشاحنون ويسبون ويخادعون بعضهم بعضا ، ناهيك عن التآمر في الظلام من أجل تحطيم الآخرين . بين هؤلاء وأولئك فئة لا يهمها من هو صاحب الحق بقدر اهتمامها بتحقيق أهدافها المفرضة . ويصطدم تولستوى كذلك بالتناقض بين حركة الفكر نحو التقدم على أسس عقلانية — حين سافر الى فرنسا سعيا وراء المعرفة — وبين جوانب الخلل في الواقع العملي لهذا التقدم مجسدا في اطاحة الجيلاتين برأس أحد أعداء السلطة السياسيين . ويهتز كيان تولستوى بعمق أكثر بموت أخيه الاكبر ، الذي كان يرى فيه شابا موفور الذكاء ، طيب القلب ، بعد صراع مع المرض لاكثر

---

٢ — ل.ن. تولستوى . مجموعة المؤلفات الكاملة فى ٢٠ مجلدا . المجلد ١٦ دار « الادب الروائى » للنشر ، موسكو ١٩٦٤ ص ٩٤ — ١٥٩

من عام . مات دون أن يعلم لم عاش ولم مات هذا الموت البطيء بعد عذاب طويل .

وكانت هذه الخواطر كفيلة بزيادة حدة الصراع الداخلي عند تولستوى رغم بضع سنوات من الاستقرار النفسى مر بها بعد زواجه . ثم تتكاثر من جديد التساؤلات القلقة ، التي يذكر بعضا منها بقوله : « حسنا .. ستبلغ أملاكك ٦٠٠٠ ديسيتينا (١) في محافظة سامارا بجانب ٦٠٠ جواد .. وماذا بعد ؟ كان الذهول يعتريني ولا أدري ما الذي يمكنني أن أفكر فيه بعد هذا ، أو عندما كنت أفكر فى كيفية تربية الاولاد كنت أقول لنفسى : ولماذا ؟ ، أو عندما كنت أفكر فى الطريقة التى تمكن الناس من تحقيق الرفاهية ، أقول لنفسي فجاة : « وما شأنى أنا بذلك ؟» ، او حين كنت افكر فى الشهرة التى يمكن ان تعود علي بها مؤلفاتى ، أقول لنفسى : « حسنا .. ستكون أكثر شهرة من جوجول وبوشكين وشكسبير وموليير ، بل وكل كتاب العالم .. وما اهمية هذا ؟ ! » (٢) . واصداء التمزق النفسى الذى كان يعيشه تولستوى فى تلك الفترة واضحة فى هذه التساؤلات . كانت حالة من الاعتام الفكرى واللامبالاة لدرجة أنه لو كانت جاءته ساحرة ــ كما يقول ــ « تعرض علي تنفيذ كل ما اتمناه لما كنت أدرى ما الذى يمكننى ان اقوله لها » . (٣) وفى مثل هذه الحالة يمكن أن يصل المرء بفكره الى عدم جدوى الحياة . ولقد أحس تولستوى بقوة طاغية تشده نحو التخلص من حياته ، فخطرت على ذهنه فكرة الانتحار . فالموت هو الحقيقة الواحدة التى يمكن للمرء أن يراها ، أما الحياة فمجرد خداع لانها تسكر المرء وتحجب عنه هذه الحقيقة .

ويشبه تولستوى حالته فى تلك الفترة بحالة ابن السبيل ، الذى تقول احدى الاساطير الشرقية أن وحشا مفترسا هاجمه فى البرية ، « ويهم ابن السبيل بالقفز الى بئر عميق للنجاة من الوحش، ولكنه يرى فى قاع البئر تنينا فاغرا فاه ليلتهمه . وتشبث المسكين ، الذى لا يستطيع الخروج من البئر فيفترسه الوحش

---

١ ــ الديسيتينا = حوالى الهكتار
٢ ــ « اعتراف » ص ١٠٥
٣ ــ « اعتراف » ص ١٠٦

الشرس ، ولا يستطيع القفز الى قاع البئر فيصبح فريسة للتنين — يتشبث بفرع شجرة نمت فى شق من شقوق البئر ويمسك به . ويدب الضعف الى يديه ويشعر أن الهلاك سرعان ما سيكون مصيره لا محالة سواء من أعلى أو من أسفل ، ورغم ذلك ظل يجاهد فى التشبث بفرع الشجرة . وبينما كان على هذه الحال أخذ يتلفت حوله ، فوجد جرذين ، أحدهما أسود والآخر أبيض ، التف كلاهما حول فرع الشجرة ، وأخذا يقرضاه فى حركة منتظمة متناسقة . وبدأ ابن السبيل يشعر بأن الفرع على وشك الانهيار بين لحظة وأخرى وأنه سيقع حتما فى فاه التنين . كان ابن السبيل يعلم تمام العلم أنه سيموت حتما ، ورغم ذلك أخذ يبحث بناظريه حوله وهو معلق بفرع الشجرة ، فرأى على اوراق الفرع نقطا من العسل ، فشرع يجذبها بلسانه ويلعقها . وها أنا أتشبث بفرع شجرة الحياة وأنا على يقين من أن تنين الموت المتهيىء للفتك بى ينتظرنى . ولا أستطيع فهم الذى ألقى بى فى هذا العذاب .. وأحاول ارتشاف هذا العسل الذى كان مبعث سلوى لنفسى فيما سبق ، ولكنه الآن لم يعد يدخل البهجة فى نفسى ، وها هو الجرذ الابيض والآخر الاسود — الليل والنهار — يقرضان الفرع المتشبث به أنا .... » (١)

ويتجه تولستوى الى العلوم التجريبية للبحث عن معنى الحياة ، فيجد هذه العلوم ترى الحياة فى مكان لا نهائى وزمان لا نهائى ، وجزئيات لا نهائية تتحول الى تراكيب معقدة لا نهائية كذلك ، وحين يدرك الانسان هذه التحولات سيفهم معنى الحياة ولم يعش . غير أن هذه العلوم لم تكن لتشفي روح تولستوى القلقة فى بحثه عن معنى الحياة ، فيسعى الى الفلسفة للوقوف على جوهر الحياة لعله يجد فيها ما يمكن أن ينشله من حالته هذه . يجد تولستوى أن سقراط ينظر الى حياة البدن كشر وكأكذوبة ، ولذا فان افناء حياة البدن خير ، وعلى المرء أن يسعى الى هذا الخير . أما شوبنهاور فيؤكد أن الحياة هى ما لا يجب أن يكون بمعنى أنها شر ، وان الانتقال الى العدم هو الخير الوحيد للحياة . ويرى سليمان الحكيم أن كل ما فى الدنيا من حمق وحكمة ، ثروة وفقر ، فرح وحزن ليس سوى لعب ولهو ، وان الانسان يموت ولا يبقى شىء من كل هذا .. وهذا عين

---

٢ — « اعتراف » ص ١٠٨

السخافة . أما بوذا فيقول انه يستحيل العيش مع ادراك حتمية المعاناة والضعف ، الشيخوخة والموت ، ولذا فعلى المرء أن يخلص نفسه من هذه الحياة . (١) ما من شك ان هذه الافكار كانت تتفق والحالة النفسية لتولستوى فى تلك الفترة ورغبته الكامنة فى التخلص من حياته بالانتحار . الا أن قوة جذب فكرة الانتحار كانت مساوية لقوة جذب فكر السعى وراء الحقيقة ، ومن ثم كان خروج تولستوى عن دائرة العلوم التجريبية والفلسفة الى دائرة بنى الانسان بحثا عن معنى الحياة .

ينظر تولستوى الى جوهر الحياة التى يعيشها ابناء وسطه ، فيجد أن البعض يتبع طريق عدم ادراك أن الحياة شر تخلو من المعنى ، والبعض الآخر يتبع طريق الابيقورية والتمتع بمباهج الحياة وخيراتها ، والبعض الثالث ينتهج طريقا قوامه قوة الارادة التى تجعل المرء يسعى الى التخلص من حياته بعد أن يدرك شرها . ثم هناك فئة رابعة من الناس تتبع طريقا قوامه الضعف البشرى ، اذ انه رغم ادراك المرء لشر الحياة وعبثيتها ، يواصل الانسان حياته وهو يعرف مقدما أنه ما من شيء يرجى منها . ان من يتبع هذا الطريق يرى أن الموت أفضل من الحياة ، ولكنه ينتظر شيئا ما لافتقاره الى القدرة على التصرف بعقلانية ، بمعنى الاسراع بالقضاء على أكذوبة الحياة وقتل نفسه . ويبرز هنا دور العقل فى الموازنة بين قبول الواقع ورفضه . فالعقل هو صانع الحياة بالنسبة للانسان ، ولكنه لو لم تكن هناك حياة لما كان هناك عقل ، ولذا فانه ثمرة الحياة ، ورغم ذلك يرفضها . ويقر تولستوى بوجود خطأ فى هذه المعادلة التى وضعها لنفسه . ويرى تولستوى هذا الخطأ فى اغفال حياة البشرية والاقتصار على النظر فى الحياة الفردية وحدها . فاذا كان المرء يريد الحياة وادراك معناها ، فليبحث عنه لا عند من أدرك عدم جدوى الحياة ، بل عند الملايين من البشر ، الذين عاشوا ولا يزالون يعيشون لصنع الحياة نفسها .

وتختلف رؤية العلماء والحكماء للحياة ومعناها عن رؤية جماهير العامة البسطاء فالمنظور العقلانى عند الاولين ينكر معنى الحياة ، حين أن ملايين البشر ترى معنى الحياة وتؤكده من خلال

---

١ ـ « اعتراف » ص ١٢٢

الايمان بالله ، وبخلق السماوات فى ستة أيام ، وبالايمان بالملائكة والشياطين . وعلى هذا فالايمان وحده هو الذى يتيح للانسان امكانية الحياة ، ذلك لانه وحده يستطيع الاجابة على تساؤلات الانسان حول معنى الحياة . ويرى تولستوى أن جوهر الايمان الحقيقى لا ينحصر فقط فى الكشف عما هو غير محسوس ، أو ما هو مرتبط بالالهام الداخلى عند الانسان وعلاقته بالله ، أو الموافقة على ما يقوله الآخرون للمرء ، بل الايمان هو معرفة معنى الحياة ، ذلك لانه قوة الحياة . ويعكف تولستوى على دراسة البوذية والاسلام والمسيحية ، وهى التى أفاض فى دراستها من خلال الكتب ومن خلال المحيطين به . فلجأ الى المؤمنين بها من أبناء وسطه ، والى العلماء ورجال الكنيسة والرهبان والنساك والمصلحين والمجددين سعيا وراء معرفة جوهر الايمان عند هؤلاء . ووجد تولستوى أن جوهر الايمان عندهم لا يوضح معنى الحياة ، بل يخدم اغراضا أخرى دنيوية الطابع ، حيث لم تكن حياة هؤلاء الناس متفقة مع المبادىء التى كانوا ينادون بها ، ذلك لان همهم الاكبر فى الحياة كان العيش والاستحواذ على كل ما يمكن أن تصل اليه أيديهم . لقد وجد تولستوى أنهم ينعمون برغد العيش مثله تماما ، كما أنهم يعملون على تحقيق المزيد من رفاهية الحياة والحفاظ عليها ، هذا بجانب استشعارهم الخوف من الحرمان والمعاناة والموت .

وفى المقابل اخذ تولستوى يتحرى جوهر الايمان عند البسطاء والفقراء والفلاحين وغير المتعلمين والنساك عابري السبيل ، وهي فئة كانت واسعة الانتشار فى روسيا آنذاك . ويجد تولستوى ان التعاليم المسيحية عند هؤلاء مرتبطة بالكثير من الخرافات . ويقارن بين هذه الخرافات وتلك التي يرددها ابناء وسطه ، ويخرج بأن الخرافات في هذا الوسط تنحى نحو الترف الفكري، حين ان خرافات عامة الشعب وثيقة الصلة بالحياة لدرجة انه يستحيل على البسطاء تصور الحياة بدونها . ورغم ذلك فان أيمان الكادحين من الناس ايمان حقيقي وضروري لهم ، لانه يؤكد لديهم معنى الحياة ، ولذا قلما كان يوجد بينهم من لا يؤمن بالله . وبالمقارنة وجد تولستوى ان الحياة لدى أبناء الوسط الذي يعيشه تمضى فى بطالة وعبث وتمتع بمباهج الدنيا ، حين تقضى الملايين حياتها فى العمل المضني دون احساس

بالاستياء أو دون تبرم بحلول الامراض والاحزان ، بل عن ايمان راسخ بأن كل هذا هو الذي يجب ان يكون ، ولذا فلا حاجة الى الشكوى من الحياة وما يكتنفها من معاناة وحرمان وموت كما يفعل الاغنياء عادة . ويراجع تولستوى حياته هذه في ضوء تأملاته ، فيجد انها حياة شريرة عابثة ، ولكن هاتين الصفتين تنطبقان على حياته وحده ، لا حياة البشر عامة . فان حياة البشر تقوم على حقيقة الايمان والعمل فى الضوء لا فى الظلام الذى يعد ستارا يستخدمه البعض لاخفاء شروره . ويدرك تولستوى انه اذا كان يريد الحياة وفهم معناها ، عليه الا يعيش عيشة الطفيلي من عرق الآخرين . « فالطائر يعيش بحيث عليه ان يطير ويلتقط غذاءه ويبني عشه، وحين أرى الطائر يفعل هذا أسعد لسعادته. والعنزة والارنب والذئب تعيش كذلك بحيث عليها ان تطعم نفسها وتتكاثر وتطعم سلالتها ، وحين تفعل ذلك ، أدرك عن يقين انها سعيدة ، وان حياتها عقلانية . ولكن ما الذي على الانسان أن يفعله ؟ عليه أن يقيم حياته مثله تماما مثل الحيوان، ولكن مع الفرق في انه يهلك لو كان يقيم حياته وحده .. اذ عليه ان يقيم حياته لا لنفسه ، بل للجميع . وحين يفعل ذلك فاني أدرك عن يقين انه سعيد وان حياته عقلانية . » (١)

ومن هذا المنطلق يرفض تولستوى نمطية حياته وحياة وسطه الاجتماعي ، ذلك لانها ليست حياة ، بل شبه حياة ، تقوم على الوفرة التي تحجب المرء عن امكانية فهم الحياة . ان الله خلق الانسان بحيث يملك هذا الانسان الحرية اما فى اهلاك نفسه وأما فى انقاذها من الضياع . ولكي ينقذ الانسان نفسه من الضياع يجب عليه ان يعيش وفق ما تقضى به التعاليم الالهية ، ولكي يعيش وفق هذه التعاليم ، عليه رفض كل ملذات الحياة والتحلي بروح الكدح والاستكانة والصبر والاحسان . ففي هذا معنى الحياة التي استقاها الشعب البسيط من ايمانه الديني ، كما انها القيم التي يعبر عنها الشعب فى أساطيره وحكاياته وأمثاله الشعبية . ان كل ما يؤمن به الشعب هو جوهر الايمان الحقيقي ، ولا يمكن ان يكون ايمانا كاذبا ، الا اذا كان المرء لا يفهمه .. انه ايمان حقيقي لانه يضفي على الحياة معنى لا يزول بالموت .

---

١ ـ « اعتراف » ص ١٠٥

وهكذا وجد تولستوى فى الشعب معلما ومرشدا الى الحقيقة . وأراد تولستوى ان يكمل هذه الحقيقة بمشاركة ابناء الشعب فى اداء طقوسهم الدينية . غير ان مشاركته هذه كانت تستند على ايمانه بأن الكنيسة تعد مجمعا للمؤمنين المرتبطين فيما بينهم بالمحبة . ان ترابط الناس فيما بينهم على اساس المحبة هو الذي يتيح الامكانية للحقيقة الالهية ان تتكشف للمجموع لا للفرد . لكن محاولته المشاركة فى الطقوس الدينية اصابته بصدمة عنيفة . وكانت هذه الصدمة بداية العداء السافر بينه وبين الكنيسة الروسية . كان تولستوى وبعد سنوات طويلة قد قرر التطهر . وفى الكنيسة « كانت الصلاة والموعظة والقواعد الطقوسية مفهومة بالنسبة لي »، هذا بجانب انها تركت فى نفسى احساسا بالسعادة لان معنى الحياة بدأ يتكشف لي . ولقد اوضحت لنفسى ان التطهير هو عمل يقوم به المرء تذكرة للمسيح ، وانه يعني التطهر من الذنوب وقبول تعاليم المسيح عن ايمان عميق .. وكم غمرتني السعادة حين تضاءلت واستكنت امام رجل الدين - هذا القس الخجول المتواضع، وأخذت اخرج كل ما بنفسي من اقذار ، وأعلن ندمي وتوبتي عن ذنوبي ... ولكن ما ان اقتربت من باب الهيكل وأجبرني القس ان أكرر بان ما سأبتلعه هو جسد حقيقي ودم ، حتى انفطر قلبي ! ان هذا اقل من ان يوصف بأكذوبة مزيفة .. انه مطلب بالغ القسوة من شخص لم يكن ، كما هو واضح ، يعلم ما هو الايمان فى وقت من الاوقات ... » (١)

وبهذه البداية وجد تولستوى الحقيقة مرتبطة بالكذب والخداع بخيوط رفيعة . وبدأ رفض تولستوى للكنيسة ، وازداد هذا الرفض حدة بتطرقه الى الوقوف على علاقة الكنيسة الروسية بغيرها من كنائس . وبدلا من ان تكون الكنيسة عامل توحيد للناس من منطلق وحدة الايمان والمحبة ، وجد تولستوى انها تسعى الى احداث الفرقة بتخطئة الاخرين وتكفيرهم . فرجال الكنيسة الروسية يعتبرون كل من لا يتفق معهم كافرا ، تماما مثلما يرى الكاثوليك اتباع الكنيسة الروسية كافرين . وفى خضم الصراع بين الكنائس في بلد يجمع الكثير من

---

١ - « اعتراف » ص ١٥٠ - ١٥١ . والمقصود الخبز والنبيذ الذى يقدم رمزا لجسد ودم السيد المسيح .

الطوائف والمذاهب الدينية ـ تضيع الحقيقة وجوهرها الموحد ، حيث تعمل كل طائفة وكل مذهب على اثبات صدقه وانكار أحقية الاطراف الاخرى . وبدلا من ان يقوم رجال الدين بترسيخ الايمان وجمع الشمل بالمنطق والدعوة السمحة ، وجدهم تولستوى يتفنون في البحث عن أفضل السبل لتحقيق اغراض دنوية ، قد تتطلب استخدام العنف فى بعض الاحيان ازاء كل من يخالف معتقدات الكنيسة . لقد كانت الكنيسة تأمر بحرق الكتب المخالفة لها في الراي ، كما كانت تقرر اعدام من يغوى أبناءها . وأصبح الروسى يقتل أخاه الروسى باسم المحبة المسيحية . واذا كان القتل شر يتنافى مع أول مبادىء الاديان جميعا ، فان الكنيسة كانت تصلي من اجل انتصار سلاح ابنائها سواء كان ذلك اثناء الحرب ، او اثناء الفتن الدينية ، حيث كان رجال الكنيسة يشجعون على قتل الشباب الضال العاجز عن الدفاع عن نفسه . ولقد ادى صراع تولستوى مع الكنيسة الى اصدارها لقرار حرمانه منها وانزال اللعنة به ، وفى المقابل أصر تولستوى على الا يقربه قس ما وهو يحتضر ، ولا بعد مماته ، والا يدفن وفق الطقوس الكنسية المعمول بها .

كانت هذه هي المبادىء والآراء التي وضعها تولستوى على لسان نيقلاي ايفانفتش بطل مسرحية « والضوء يسطع فى الظلام » ، حيث كان ضوء الحقيقة الالهية يسطع فى الظلام الذي يشرذم بني الانسان بدلا من التقائهم جميعاً على وحدة وصفاء الايمان ، وحيث كان ضوء التضحية بالنفس من اجل الاخرين ، والزهد ومعاشرة البشر كبشر ، وسعي الانسان نحو حياة قوامها العمل وناموسها الضمير ـ يسطع ظلام القهر الاجتماعي والانانية والسعي وراء مباهج الدنيا على حساب عرق الاخرين . وكان تولستوى قد وضع في مذكراته اليومية الخطوط العريضة لتطور أحداث المسرحية على النحو التالي : ادراك الحقيقة المسيحية ، الرغبة والامل فى نشر هذه الحقيقة ، خيبة الامل في نشرها بين الناس ، الامل في تطبيقها فى حياة البطل الشخصية ، اليأس من عدم امكانية تحقيق ذلك ، الاستسلام للواقع والابقاء على كل شيء في النفس دون الاهتمام بالعواقب ، وكانت هذه في الواقع هى المراحل التي مر بها نيقلاى ايفانفتش بدءا بمحاولته نشر دعوته وحتى وصوله الى حالة الاستكانة في مواجهة الواقع . لقد أدرك نيقلاى ايفانفتش

الحقيقة المتمثلة في تخليص النفس من الاستار التي تحجبها عن رؤية الصفاء والطهارة في علاقـة المرء بربه وفي علاقته باخوتـه من بني الانسان . وللحقيقة جانبان في رأى نيقلاى ايفانفتش : جانب ايماني يعتمد على العقلانية ونبذ الشوائب التي شـابت العقيدة والرجوع الى الضمير الذي يعـد أعلى سلطة في نفـس الانسان توجـه سلوكه وتحكم أفعالـه . والجانب الآخر يستمد نبعه من الايمان الحق ويتسم بالطابـع الاجتماعي ، حيث يعتمد على علاقـة الفرد بغيره من أفـراد فى المجتمع . فالناس جميعا أخوة ، لكل منهم مـا لغيره من حقوق وواجبات ، لـذا ينبغي أن تكون العلاقة بينهم منسوجة بروح المحبة والتراحم والمسـاواة . ولتحقيق هاتين الغايتين ينبغي على المرء الا يواجه الشر بالعنف . فالاقناع بالايمان الحق لا يمكن أن يكون بغير الحجج العقلية المنطقية والفهم المطلق لجوهر العقيدة . أمـا الجانب الاجتماعي فسبيل تحقيقه هـو ازالة الاسباب . وتحت مبدأ عـدم المشاركة في الشر يسعى نيقلاي ايفانفتش لازالـة هذه الاسباب ، التى يراها متجسدة في العلاقة بين الفقراء والاغنياء من ناحية ، وبين الكنيسة واتباعها من ناحية أخرى ، وبين الدولة ورعاياها من ناحية ثالثة . فعلى الاغنياء أن يشعروا بحرمان اخوتهم فى الدين ويتنازلوا عمـا لديهم للفقراء والتوجه للعمل من عرق الجبـين . أمـا الكنيسة فعليها التخلي عن المظهرية ونشر جوهر الايمان الحقيقي وتقليص سلطتها على أتباعها . ويرى نيقلاى ايفانفتش في الدولة أداة قهر وعنف تساعد على استعباد الأقلية للأغلبية ، ولـذا فمن الضروري عـدم مشاركة الافراد في كل انشطتها ومؤسساتها .

ويحـاول نيقلاى ايفانفتش نشر دعوته هذه بالاقناع والمنطق اعتمادا على ان الطريق الوحيد للوصول الـى معنى الحياة التي يعيشها المرء هـو العقل والضمير والسعي نحو الكمال الروحي . الا أن دعوتـه هذه لا تلقى الا القليل من الآذان الصاغية من بـين المحيطين بـه . فزوجته ـ هـذه المراة العاقلة الطيبـة القلب ـ لا تستطيع فهم جوهر مـا ينادى بـه ، ربما عن عمد ، لا لأنهـا غير قادرة على التخلي عن أسباب الحياة المترفة ، بـل من وازع الامومة التي ترفض قلب الأوضاع بزاوية حـادة مما يؤدي الـى حرمان أولادها من العيش في مستوى لائق . والابن ستيوبا ـ ـ خريج الجامعة ـ يسعى الى شـق طريقه في الحياة على غرار أقرانـه ، ولـذا فان الحرمان والمعاناة يتعارضان مـع منطقه ،

وكذلك الحال بالنسبة للابنة ليوبا ، التي كانت تميل في بادىء الأمر لبعض من أسس البساطة في نظرتها الى المستقبل مع عريسها باريس ، ولكنها تتجاوب فيما بعد مع عريس جديد يمثل النقيض المترف فى نمطية الحياة الارستقراطية . ويواجه نيقلاى ايفانفتش معارضة لفكره من جانب شقيقة زوجته الكسندرا ايفانفنا الدائبة الدس بأنفها في شئون الأسرة الى حد استدعاء الأب جيراسم ليخرج نيقلاى ايفانفتش من الضلال الذي هو فيه . ثم يأتي رفض الكونتيسة لمعتقدات نيقلاى ايفانفتش من منطلق نفعي ، اذ ان مسايرتها لمثل هذا الفكر ستؤدي حتما الى فقدان ابنها للدوطة الكبيرة التي يمكن ان تقدمها أسرة صارينتسف له في حالة زواجه من ليوبا . ولم يقبل أفكار نيقلاى ايفانفتش سوى القس الشاب وباريس عريس ابنته .

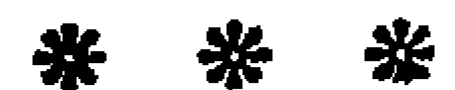
لقد فشل نيقلاى ايفانفتش في اجتذاب مناصرين لفكره خارج وداخل أسرته ، ويصاب بخيبة أمل مشوبة بالقنوط الذي يدفعه الى الاستكانة لما هو واقع وقبول الحياة كما هى عليه . وينقل نيقلاى ايفانفتش الملكية باسم زوجته ، ويرضى بالعيش مع الأسرة بعيدا عن حياتها المترفة . غير ان هذه الحياة خلقت تناقضا ظاهريا لديه . فالظاهري هو التناقض بين ما يقوله للناس وبين ما يراه الناس . أما الداخلي فهو الصراع النفسى بين نتيجة تعارض ما ينادي به وما يراه هو من حوله . ولم يعد أمام نيقلاى ايفانفتش سوى مخرج واحد هو الهروب من هذا الواقع والتسلل خفية من البيت . الا انه يرى فى هذا التصرف ضربا من العنف في الرد على شرور الحياة ، ولذلك يستكين لرأي زوجته ويبقى في البيت .

وتتفاقم أزمة نيقلاى ايفانفتش بتخلي القس الشاب عن مبادئه وسوء مصير باريس تابعه الوحيد الراسخ الايمان . واذا كان نيقلاى ايفانفتش قد قرر في نفسه القبول بالأمر الواقع على ما ينادى به لنفسه ، فان رجوع القس الى الكنيسة ومصير باريس المؤلم في الجيش قد أوصلاه الى حالة من الحيرة والشك في صواب ما ينادى به . هل كان في ضلال لأنه يؤمن بالله ؟ وتتبدد هذه الحيرة بثقته في قوة ايمانه وامله فى عون الله له .

ربما لــو كان تولستوى أكمل المسرحية بالفصل الخامس ، لكان قــد استطرد فى وصف مــا تعرض لــه من أحــداث حتى آخر أيامــه . ولقد أشرنا في بداية حديثنا عن المسرحية ، ان النص لــم يعالج معالجة نهائية باستثناء الفصل الاول الذي صاغة تولستوى صياغة كاملة . وكان وجود اسم باريس على صورتين فــي المسرحية ــ مــرة باريس ألكسندرفتش وأخــرى باريس سيميونفتش ــ ناتجا عن عــدم انهاء تولستوى لصياغة النص . ولقد اتبع تولستوى أسلوب الحوار المقتضب وتتابــع المشاهد والمناظر مما يضفي على المسرحية ديناميكية شبيهة بتلك المعمول بهــا في الشريط السينمائي . والجدير بالاهتمام ان تولستوى وضــع على لسان الكسندر ايفانفنــا بصفة خاصة الكثير من الجمل والتعابير الفرنسية ، ولقد أبقينا عليها بنقلها صوتيا الى العربية وايراد المعنى أسفل الصفحة ، ذلك لأنها كانت لديه وسيلة مــن وسائل تصوير شخصية المرأة الارستقراطية النزعة والتي تستخدم اللغة الفرنسية بمناسبة وبدون مناسبة . وفى مقابل ذلك نجــد أن نيقلاى ايفانفتش لــم يستخدم فى حواره سوى اللغة الروسية كما أن زوجته ماريــا ايفانفنــا لــم تلجأ الى اللغة الفرنسية الا عندمــا اقتضت ضرورة عــدم احــراج ضيــف نيقلاى ايفانفتش بطلبهــا منــه اخراجــه من الغرفــة .

وأرجو ان تسهم هــذه المقدمة والمسرحية في المــام القارىء العربي بالمبادىء الرئيسية فى فكر الكاتب الروسى الكبير تولستوى .

والله ولــي التوفيــق .



الضوء يسطع في الظلام

تأليف : ليون تولستوي

ترجمة : د. فوزي عطية

مراجعة : د. نادية إمام سلطان

العنوان الاصلي للمسرحية

И СВЕТ ВО ТЬМЕ СВЕТИТ

ДРАМА В ПЯТИ ДЕЙСТВИЯХ

ДЕЙСТВУЮЩИЕ ЛИЦА

الشخصيات

Николай Иванович Сарынцов.	نيقلاى ايفانفتش صار ينتسف
Марья Ивановна Сарынцова, его жена.	ماريا ايفانفنا صار ينتسفا ، زوجته
Люба, их дочь.	ليوبا ، ابنتهما
Стёпа, Ваня — сыновья их.	ستيوبا ، فانيا — ابناهما
Мисси, их дочь.	ميسى ، ابنتهما
Маленькие дети Сарынцовых.	أطفال صار ينتسف الصغار
Александр Михайлович Старковский, жених Любы.	ألكسندر ميخايلفتس ستاركوفسكى ، عريس ليوبا
Митрофан Ермилыч, учитель Вани.	ميترفان يرميليتش ، معلم فانيا
Гувернантка Сарынцовых.	مربية أولاد صار ينتسف
Александра Ивановна Коховцева, сестра Марьи Ивановны.	ألكسندرا ايفانفنا كاخوفتسفا ، شقيقة ماريا ايفانفنا
Пётр Семёнович Коховцев, её муж.	بيوتر سيميونفتش كاخوفتسف ، زوجها
Лизанька, их дочь.	ليزانكا ، ابنتهما
Няня Сарынцовых.	دادة أسرة صار ينتسف
Лакеи Сарынцовых.	خدم أسرة صار ينتسف
Княгиня Черемшанова.	البرنسيسة تشير مشانفا
Борис, её сын.	باريس ، ابنها
Тоня, её дочь.	تونيا ، ابنتها
Молодой священник.	القس الشاب
Ива́н Зябрев, мужик.	ايفان زيابرف ، فلاح
Малашка, его дочь, с малым.	مالاشكا ، ابنته ومعها طفل صغير

Баба, его жена.	المرأة ـ فلاحة ، زوجته
Пётр, мужик.	بيوتر ، فلاح
Сотский.	الشرطي
Отец Герасим, священник.	الأب جيراسم ، قس
Нотариус.	موثق الشهر العقاري
Столяр.	نجار الموبيليا
Генерал.	الجنرال
Адъютант генерала.	ياور الجنرال
Полковник.	الكولونيل
Писарь полковой канцелярии.	كاتب سكرتارية الفوج العسكري
Часовой.	جندي حراسة
Двое конвойных.	حارسان
Жандармский офицер.	ضابط الجندرمة
Писарь жандармского офицера.	كاتب ضابط الجندرمة
Полковой священник.	قس الفوج العسكري
Старший доктор отделения для душевнобольных в военном госпитале.	طبيب ذو رتبة كبيرة في قسم الأمراض النفسية بالمستشفى العسكري
Младший доктор того же отделения.	طبيب أصغر رتبة بنفس القسم
Сторожа того же отделения.	حراس القسم
Больной офицер.	ضابط مريض
Тапер.	عازف البيانو
Графиня.	الكونتيسة
Александр Петрович.	ألكسندر بتروفتش
Мужики, бабы.	فلاحون وفلاحات
Студенты, дамы. Танцующие пары.	طلبة ، سيدات ، أزواج من الراقصين

الفصل الاول

المسرح عبارة عن شرفة مسقوفة في بيت من بيوت الأثرياء في الريف . وتطل الشرفة على احواض للزهور وملعب للتنس وآخر للكروكيه . وفي ملعب الكروكيه يلعب الصغار مع مربيتهم . في الشرفة تجلس ماريا ايفانفنا صارينتسفا – وهى إمراة في الأربعين ، جميلة انيقة الملبس ، وشقيقتها الكسندرا ايفانفنا كاخوفتسفا وهى امراة في الخامسة والأربعين ، بدينة ، حازمة الراى والتصرف ، تتسم بالغباء ، وزوجها بيوتر سيميونفتش كاخوفتسف مرتدياً ملابس صيفية – وهو رجل بدين مترهل الوجه ، يضع عوينات على انفه . يجلس الجميع إلى مائدة مغطاة بمفرش وعليها سانوار وادوات القهوة . يشرب الجالسون القهوة . بيوتر سيميونفتش يدخن .

المشهد الأول

ماريا ايفانفنا ، الكسندرا ايفانفنا ، بيوتر سيميونفتش

الكسندرا ايفانفنا : لو لم تكوني اختى ، وكنت غريبة عنى ، ولو لم يكن نيقلاى ايفانفتش زوجك ، وكان من بين مغارفنا ، لرايت في كل هذا بدعة مبتكرة طريفة ، وربما كنت

قد وافقته . . جورى تروفيه توساتريه جانتيه(١) ،
ولكنى حين ارى زوجك يتصرف بطيش . . وبطيش
واضح ، فاني لا استطيع ان اخفى عنك ما افكر فيه . .
كما سأقول له . . سأقول لزوجك . . جولوى ديريه
سون فيت او شير(٢) سأقول لهذا النيقلاى ايفانفتش
العزيز . . إني لا اخشى احدا .

ماريـــا

ايفانفنـــا : ولكن هذا لا يدعوني إلى الزعل منك بحال من الأحوال
اتعتقدين انى لا ارى بنفسى كل هذا ؟ ولكنى لا
اعتقد ان الأمر على هذا القدر من الخطورة .

الكسندرا

ايفانفنـــا : انك لا تعتقدين . اما انا فأقول لك انك لو تركت
الموضوع على هذا النحو ، فمن المرجح ان تصبحو
فقراء على فيض الكريم ديو تران كيه سيلافا (٣) .

بيـــوتر

سيميونفتش: هه . . على فيض الكريم ولديهم مثل هذه الثروة !

الكسندرا

ايفانفنـــا : نعم . . على فيض الكريم . . ثم اسمع يا عزيزى . .

---

(١) بالفرنسية L'aurais trouvé tout ça très gentif
وتعنى : كنت قد وجدت فى هذا أمرا جذابا .

(٢) بالفرنسية Le lui dirai son fait, au chet
وتعنى : ساقول له ، هذا العزيز ، الحقيقة كلها .

(٣) بالفرنسية du train que celava
وتعنى : بمقتضى سير الامور .

ارجوك الا تقاطعني ، ان كل ما يفعله الرجال يروق لك دائمـــا . .

بيـــوتر

سيمونفتش: الواقع اني لست ادرى ، ولكني اقول . .

الكسندرا

ايفانفنـــا : انك لا تدرى ما تقوله دائما ، لأنه ما ان يبدا ابنـــاء جلدتكم من الرجال في التصرف بطيش ، النيابـــا دريزون كيه سافينيس (١) (مخاطبة أُختها) ان مـــا اقصده هو انه لو كنت مكانك لما سمحت بكل هذا . جومى بون اوردر آتوتي سى لوبيه(٢) . ما هى الحكاية بالضبط ؟ انه زوج ورب أُسرة ، ولا يشتغل بشيء على الاطلاق ، وها هو يهجر كل شيء ، ويقـــــوم بتوزيع كل شيء . . افيه لوجنريه آدروات ايــــه آجوش(٣) . . اني اعرف ما يمكن انينتهى إليه هذا . . نوزن سافون كيلك شوز(٤) .

بيوتر

سيمونفتش: (مخاطبا ماريا ايفانفنا) أرجوك ياماريا أن توضحى لى ماهو هذا المذهب الجديد . .هناك الليبراليون وارتباطهم

---

(١) بالفرنسية iln'y a pas de raison que ça finisse

وتعنى : وما من سبب يجعل لهذا نهاية .

(٢) بالفرنسية J'aurais mis bon ordre à toutes ces lubiès

وتعنى : كنت قد وضعت حدا لكل هذه الافكار المختلفة .

(٣) بالفرنسية et fait le généreux à droite et à gouche

وتعنى : يجود بسخاء على اليمين وعلى الشمال .

(٤) بالفرنسية Nous en savans quelque chose

وتعنى : اننا نعلم عن هذا بعض الشيء .

بمجالس الزيمستفو * والدستور والمدارس والمكتبات العامة وتوسكى سان سوى (١) . . . هذا أمر مفهوم . . ثم الاشتراكيون وارتباطهم جريف (٢) وتحديد عدد ساعات العمل في اليوم بثمان ساعات . وهذا مفهوم كذلك . . ولكن ماهذا الذى يدعو اليه . أرجوك أن توضحيه لى .

ماريا
ايفانفنا : ولكنه حدثك عنه بالأمس .

بيوتر
سيمونفتش: الحق يقال . . لم أفهم شيئا . . كان يتحدث عن الانجيل وموعظة الجبل وعدم ضرورة وجود الكنيسة . . اذن كيف يصلى المرء ، ثم كل . .

ماريا
ايفانفنا : هذا هو صلب الموضوع . . انه يعمل على هدم كل شيء دون أن يأتى ببديل له

بيوتر
سيمونفتش: ولكن كيف بدأ هذا ؟

ماريا
ايفانفنا : بدأ هذا في العام الماضى وبعد وفاة شقيقته . لقد كان يحبها حبا شديدا ، ولذا أثر فيه موتها تأثيراً كبيرا .

---

(١) بالفرنسية tout ce qui s'en suit
وتعنى : وكل ما يتبع ذلك .

(٢) بالفرنسية les grèves
وتعنى : اضرابات .

* الزيمستفو : المجالس المحلية فى روسيا القيصرية .

- لقد أصبح آنذاك عميق الحزن والكآبة . . وأخذ يتحدث عن الموت طيلة الوقت ، ثم بعد ذلك مرض كما تعلم . لقد تغير تغيراً شاملا بعد اصابته بالتيفود .

ألكسندرا

ايفانفنـــا : ولكنه جاء رغم ذلك الينا في موسكو في الربيع ، وكان لطيفا جدا . بل والأكثر من ذلك انه كان يلعب الورق . . ال ايتيه ترى جانتى ايه كوم تولموند (١)

ماريـــا

ايفانفنـــا : ولكنه آنذاك كان شخصا آخر بالمرة .

بيوتر

سيمونفتش: وفيم على وجه الخصوص ؟

ماريـــا

ايفانفنـــا : اللامبالاة التامة بالأسرة ، كما سيطرت عليه تماما فكرة الانجيل . كان يقرأ طوال الأيام ، ولاينام الليالى ، حيث كان يقوم من الفراش ويقرأ ويدون ملاحظات

ويقتبس : شواهد من الكتب ، ثم أصبح بعد ذلك دائم الترحال الى المطارنة والنساك ، حيث كان يتشاور معهم في أمور الدين .

ألكسندرا

ايفانفنا : ولكن قولى لى . . هل كان يصوم الصوم الكفارى(٢) ؟

---

(١) بالفرنسية IL était tres gentil et comme tout le monde
وتعنى : كان لطيفا ومثل الجميع .

(٢) الصوم الكفارى : صوم تطوعى لمدة يوم او اكثر لتطهير النفس ، وقد يعقبه الاعتراف .

ماريا

ايفانفنا : قبل ذلك لم يصم الصوم الكنارى منذ زواجنا . . أى منذ خمسة وعشرين عاما . وذات مرة صام في الدير ، وعقب الصيام مباشرة قرر انه مامن حاجة الى الصيام ، ومامن ضرورة للذهاب الى الكنيسة .

ألكسندرا

ايفانفنا : ولهذا أقول انه ليس لديه منطق ثابت .

ماريـــا

ايفانفنا : حقا . . منذ شهر واحد لم تكن تفوته صلاة واحدة ، ولم يكن يهمل الصيام ، وفجأة بدأ بعد ذلك يقول انه لاحاجة الى كل ذلك . . ومامن أحد يستطيع اقناعه بشيء غير ذلك .

الكسندر

ايفانفنا : لقد حدثته وسأحدثه من جديد

بيوتر

سيمونفتش: حسنا ولكن هذا لايعني . . .

ألكسندر

ايفانفنا : ان كل شيء بالنسبة لك لايعني شيئا ، لأن الرجال ليس لديهم دين .

بيوتر

سيمونفتش: ولكن اسمحى لى أن أكمل كلامى . أقول ان المهم ليس في هذا . . اذا كان يرفض الكنيسة ، فما الحاجة هنا الى الانجيل اذن ؟

ماريـــا

ايفانفنا : الحاجة اليه في أنه ينبغى على الانسان أن يعيش وفـــق

تعاليمه . . وفق موعظة الجبل . . وأن يتنازل عن كل مايملك .

بيوتر

سيمونفتش: وكيف اذن يمكن العيش اذا كان المرء سيتنازل عن كل مايملك ؟

ألكسندرا :

ايفانفنا : هه . . وهل تتضمن موعظة الجبل حتمية مصافحـــه الخدم باليد لتحيتهم ؟ ! لقد ورد في موعظة الجبل أن : الحليم في نعيم ، ولكن لم يرد شيء عن المصافحه باليد هذه .

ماريـــا

ايفانفنا : من المؤكد أنه مولع الآن بهذا الموضوع ، كما كان يولع دائما بشيء ماكعادته . . فقد كان في وقت من الأوقات مولعا بالموسيقى ثم بالصيد ثم بالمدارس . . غير ان هذا لن يهوّن عليّ الأمر .

بيوتر

سيمونفتش: وماالذى جعله يذهب الى المدينة ؟

ماريـــا

ايفانفنا : لم يقل شيئا ، ولكنى اعرف انه ذهب الى هناك بسبب قضية قطع الاشجار . . لقد قطع الفلاحون اشجاراً من غابتنا .

بيوتر

سيمونفتش: تقصدين غابة أشجار الشوح التى زرعتموها .

ماريـــا

ايفانفنا : هذا صحيح . . لقد حكمت المحكمة عليهم بدفع

قيمة الأشجار مع السجن . . والآن ، كما قال لى ، القضية معروضة على مجمع قضاة الاستئناف ،انى على يقين أنه ذهب الى المدينة لهذا السبب .

ألكسندرا

ايفانفنا : سيعفو عنهم بكل تأكيد . . وسيأتون غدا لقطع أشجار الحديقة .

ماريـــا

ايفانفنا : هكذا تبدأ الحكاية دائما . . لقد قطعوا أشجار التفاح من قبل ، وهاهم يدوسون المزروعات في الحقول بماشيتهم طول الوقت ثم يعفو عنهم بعد ذلك .

بيوتر

سيمونفتش : أمر عجيب !

ألكسندرا

ايفانفنا : وهذا هو الذي جعلنى أقول بانه يستحيل ترك الامر على هذا النحو . اذا كانت الأمور ستظل هكذا ، فانه توتى باسرا (١) ، أعتقد أنه ينبغى عليك كأم لأولاده أن برندرتى ميزيير . (٢)

ماريـــا

ايفانفنا : وماالذى أستطيع عمله ؟

ألكسندرا

ايفانفنا : كيف ماالذى تستطيعين عمله ؟ ! توقفيه عند حده

---

(١) بالفرنسية tout y Passera

وتعنى : سيبلو كل ما يملك .

(٢) بالفرنسية Prendre tes mesures

وتعنى : متخذى الاجراءات الضرورية .

وتوضحي له أن هذه التصرفات لاتجوز . . ان لديك أطفالا . . عجبا . أية قدوة هذه يضربها لهم ؟ !

ماريــا

ايفانفنا : ان الأمر ثقيل على النفس طبعا ، ولكني ألتزم الصبر على أمل أن يمضي ذلك الى حاله كما مضت كل نزواته الأخرى من قبل .

ألكسندرا

ايفانفنا : ولكن المثل يقول ايدتوا ايه دييه تدرا (١) . يجب أن تجعليه يشعر بأنه لايعيش وحده وأنه يستحيل العيش على هذا النحو .

ماريــا

ايفانفنـــا : ان اسوا ما في الأمر انه لم يعد يشغل باله بالأولاد . . فعلي ان اقوم بنفسى بكل شيء . . لدى طفل رضيع من ناحية ، وهناك البنات والصبيان الأكبر ومــــا يحتاجونه من رعاية وتوجيه من ناحية اخرى . . وفي كل هذه الأمور اقف وحدى . لقد كان فيما سبق ابا عطوفا شديد العناية بهم ، اما الآن فالأمر سيان بالنسبة له . بالأمس اقــول له ان فانيا لا يستـــذكر دروسه وسيرسب مرة أخرى في الامتحان ، فيرد على قائلا : من الأفضل بكثير لو ترك المدرسة بالمرة .

بيـــوتر

سيمونفتش: واين يذهب ؟

---

(١) بالفرنسية aide-toi, et Dieu t'aidera.
وتعنى : اسع يا عبد يسعى الله معك .

ماريـــا

ايفانفنـــا : لا هنا ولا هناك . . المصيبة ان كل شيء في رايه سيء وغير مستحب ، ولكن حين تسأله عما يجب عمـــــله لإصلاح الأمر ، لا يقول شيئاً بالمرة .

بيــوتر

سيمونفتش: امر غريب حقا ؟!

الكسندرا

ايفانفنـــا : وما وجه الغرابة هنا ؟ هذا هى طبيعتكم ايها الرجال . . تنتقدون كل شيء ولا تفعلون شيئا بأنفسكم .

ماريـــا

ايفانفنـــا : ها هو ستيوبا انتهى من دراسته وعليه ان يحدد مستقبله ، ولكن والده لا يقول له شيئا . يريد الالتحاق للعمـــل في سكرتاريـــة مكتب الوزيـــر ، فيقـــول له نيقلاى ايفانفتش لا ينبغى ذلك . . يريـــد الالتحاق بسلاح الفرسان الثقيلة ، ولكن نيقـــلاي ايفانفتش لا يوافق على هذا بالمرة . . وعندما سأله : ما الذى علي ان افعله ؟ هل افلح الأرض ؟ ! فرد عليه نيقـــــلاى ايفانفتش قائلا : وما المانع من فلاحة الأرض . . انها افضل بكثير من العمل في مكتب الوزير . لست ادرى ما عليه ان يفعل إذن ؟ لقد جاءني وسألنى ، وعلى ان اقرر كل شيء بنفسي . . ولكن ما الفائدة إذا كان تصريف الأمور كلها في يده .

الكسندرا

ايفانفنـــا : إذن ينبغى ان تقولى له كل هذا بصراحة .

ماريــا

ايفانفنــا : اعرف انه ينبغي . . سأحادثه في هذا .

الكسندرا

ايفانفنــا : وقولى له بصراحة انك لا تستطيعين تحمل الأمر على هذا النحو ، وانك تقومين بواجباتك ، وعليه ان يقوم هو بواجباته كذلك ، وإذ لم يقم بها ، فيجب عليــه ان يمنحك الحق في التصرف في كل شيء .

ماريــا

ايفانفنــا : يا له من امر ثقيل على النفس هذا !

الكسندرا

ايفانفنــا : اني على استعداد للتحدث معه إذا اردت . . جولوى ديريه سون فيت(١) .

يدخل قس شاب يبدو عليه الخجل والانفعال ، يحمل كتابا ، يشد على يد الجميع محييــا .

المشــهد الثانــي

الشخصيات السابقة ، قس شاب

القــس : ارجو المعذرة . . اني جئت . . اقصد جئت بالكتــاب لنيقلاى ايفانفتش .

ماريــا

ايفانفنــا : لقد رحل إلى المدينة وسرعان ما سيعود .

(١) بالفرنسية Je Pui dirai son fait
وتعني : ساقول له الحقيقة كلها .

الكسندرا

ايفانفنـــا : واى كتاب هذا الذى اخذته منه ؟

القـــس : ارجو المعذرة . . كتاب « حياة المسيح » تأليف السيد رينـــان .

بيـــوتر

سيمونفتش: ها . . ها ! يا لها من كتب هذه التى تقرأهـــا !

القـــس : (يشعل سيجارة بانفعال) : انه نيقلاى ايفانفتش . . انه الذى اعطاني الكتاب لقراءته .

الكسندرا

ايفانفنـــا : (بازدراء) تقول ان نيقلاى ايفانفتش اعطاه اياك لتقراه ؟ ! وهل انت متفق في الراى مـــع نيقـــلاى ايفانفتش والسيد رينان ؟ !

القـــس : اني غير متفق معهما بطبيعة الحال . . إذا كنت ، لو جاز القول ، على راى واحد معهما ، لما كنت ، كما يقولون ، خادماً للكنيسة .

الكسندرا

ايفانفنـــا : وطالما انت . كما يقولون ، خادم مخلص للكنيسة ، فلم إذن لم تحاول اقناع نيقلاى ايفانفتش ؟

القـــس : يمكن القول ان لكل رايه في هذه المسائل ، ويمكن القول ان راى نيقلاى ايفانفتش هو الراى الحـــــق في كثير من الأمور ، ولكنه في ضلال في مسألة رئيسية . . اى يمكن القول . . فيما يتعلق بالكنيسة .

الكسندرا

ايفانفنـــا : (بازدراء) وما هى هذه الآراء الكثيرة الحقة الــتى يزعمها نيقلاى ايفانفتش ؟ وهل من العدل انه ينبغى على المرء وفق موعظة الجبل ان يوزع كل ما يملكه على الآخرين من الغرباء ويترك أُسرته لتمد يدهــا استجداء لحسنات الآخرين ؟

القـــس : يمكن القول ان الكنيسة تقدس الأسرة ، كما ان آباء الكنيسة ، كما يمكن القول ، يباركون الأسرة . . ولكن الكمال الأسمى يتطلب ، كما يمكن القول ، التخلى عن ملذات الدنيــا .

الكسندرا

ايفانفنـــا : حقاً . . هذا هــــو تصرف النساك ، ولكن الناس العاديين يجب ان يتصرفوا ببساطة كما ينبغى على المسيحى الحق ان يتصرف .

االقـــس : ما من احد يعلم ما ستكون عليه رسالته في الحياة .

الكسندرا

يفانفنـــا : وانت متزوج طبعاً ؟

القـــس : طبعاً متزوج .

الكسندرا

ايفانفنـــا : الديك اطفـــال ؟

القـــس : طفـــلان .

الكسندرا

ايفانفنـــا : اذن لماذا اذن لا تتخلى عن ملذات الحياة ؟ ها انت تدخن على سبيل المثال ؟

القـــس : ان هذا نتيجة الضعف الروحى ، او يمكن القول . . لست جديرا بمواجهة هذا الضعف .

الكسندرا

ايفانفنـــا : اراك تؤيد نيقلاى ايفانفتش بدلا من اعادته إلى جادة الصواب . هذا تصرف غير مستحسن . . اقولها لك بصراحـــة .

المشـــهد الثالث

الشخصيـــات السابقة ، الـــــدادة

الـــدادة : (تدخل) لقد انشغلت عن سماع بكاء الطفل . . نيقولا شكا يبكى . . تفضلى لترضعيه .

ماريـــا

ايفانفنـــا : حالا . . حالا . . (تنهض وتغادر المكان)

المشـــهد الرابـــع

الشخصيات السابقة دون ماريا ايفانفنا والـــدادة

الكسندرا

ايفانفنـــا : اني مشفقة غاية الاشفاق على أختى . . اشعر كيف تتعذب . ان ادارة شئون البيت ليست لعبا . . هناك سبعة اطفال من بينهم طفل رضيع . . ثم هذه الترهات . . يبدو ان الأمر هنا (تشير إلى راسها) ليس على مـــــا يرام . . اني اسألك . . اى دين جديد هذا الـــــذى وجدتمـــوه ؟

القـــس : لاأفهم . . اذا جاز القول . .

ألكسندرا
ايفانفنا : أرجوك أن تكف عن الخبث معى . . انك تفهم جيدا ما أسألك عنه .

القـــس : ولكن اسمحى لى . . .

ألكسندرا
ايفانفنا : أسألك عن تلك العقيدة التى تقضى بضرورة مصافحة الفلاحين باليد والسماح لهم بقطع الأشجار من الغابة ، وتوزيع المال عليهم ليشربوا به الفودكا ، أما الأسرة فنصيبها الاهمال .

القـــس : لست أد . . .

ألكسندرا (مقاطعـــة) : انـــــه يقـــــول ان هـــــــذه مسيحية . وهاأنت قس من الكنيسة الروسيةالأرثودكسية ومن ثم ينبغى عليك أن تكون على علم بذلك . . بل وعليك أن تقول له . . هل المسيحية تقضى بتشجيع السرقة ؟

القـــس : انى . . . .

ألكسندرا
ايفانفنا : والا فلماذا أنت قس . . وتطلق شعرك كالقسس وترتدى غفاراتهم .

القـــس : لاأحد يسألنا ياألكسندرا ايفانفنا . . .

ألكسندرا

ايفانفنا : كيف لاأحد يسألكم ؟ ! ها أنا أسألك . . لقد قال لى بالأمس ان الانجيل يقول : اعط السائل . . ولكن مامعنى هذا الكلام ؟

القـــس : أعتقد أن معناه واضح وبسيط .

ألكسندرا

ايفانفنا : أما أنا فأعتقد أن معناه ليس على هذا النحو من البساطة . بل أعتقد أن الله ، كما علمونا ، قدر نصيب كل في الحياة .

القـــس : هذا صيح . . ولكن . .

ألكسندرا

ايفانفنا : واضح . . واضح أنك تقف الى جانبه كما قالوا لى . . هذا أمر سي ء . . أقولها لك صراحة . . لوكان الذى يؤيده معلمة في مدرسة أو طفل من الأطفال ، لاختلف الأمر ، أما أنت وبمقامك في الكنيسة ، فيجب عليك ألا تنسى المسئولية الملقاة على عاتقك .

القـــس : انى أحاول . . .

ألكسندرا

ايفانفنا : أى دين هذا اذا كان لايذهب الى الكنيسة ولايعترف بالسر المقدس ؟ وأنت ، بدلا من أن تعود به الى جادة الصواب ، تقرأ معه كتاب رينان ، وتفسر معه الانجيل على طريقتكما الخاصة !

القـــس : (منفعلا) لاأستطيع الرد . . يمكن القول ، انى في غاية الدهشة . . انى سألتزم الصمت .

ألكسندرا
ايفانفنا : آه . . لو كنت مطرانا . لعلمتك جيدا كيف تقرأ رينان وتدخن السجائر !

بيوتر
سيمونفتش: ميه سيسيه أونن ديوسييل . ديه كيل دروا ؟ (١)
ألكسندرا
ايفانفنا : أرجوك ألا تعلمنى . . انى على ثقة أن الأب لم يزعل منى . . لاضير . . لقد قلت كل ماعندى . . كان من الممكن أن يكون الأمر أسوأ لو كتمت مابداخلى من غيظ . . أليس كذلك ؟

القـــس : أرجو المعذرة ان كنت قد أسأت التعبير . . أرجو المعذرة . .

(صمت مشوب بالحرج)

ينتحى القس جانبا ويفتح الكتاب ويبدأ في قراءته . تدخل ليوبا مع ليزانكا ليوبا . ابنة ماريا ايفانفنا ، فتاة في العشرين ، جميلة رشيقة الحركة ، ليزانكا — ابنة الكسندرا ايفانفنا ، أكبر منها قليلا . تحمل كل منهما سلة ، وقد عصبت كل منهما رأسها بمنديل . الاثنتان في طريقهما لجمع الفطر(٢) من الغابة . ليوبا تحيى خالتها وزوج خالتها ، وتحيى ليزانكا والدها ووالدتها والقس .

---

(١) بالفرنسية Mais cessez au nom du ciep. De quel droit
وتعنى : استحلفك الله ان تكفى عن هذا .. باى حق تحدثيه هكذا ؟

(٢) الفطر : من فصيلة اللازهريات وينمو من ذاته فى الغابات عادة ، منه ما يؤكل ومنه ما هو سام . والفطر الأبيض نوع من اجود الانواع .

المشـــهد الخـــامس

الشخصيات السابقة ، ليوبا ، ليزانكا

ليـــوبا : وأين ماما ؟

ألكسندرا

ايفانفنا : لقد ذهبت لتوها لارضاع الطفل .

بيوتر

سيمونفتش: انظرا . . عليكما احضار أكبر كمية من الفطر . . لقد أحضرت صبية اليوم فطرا أبيض رائعا . . كم كنت أود الذهاب معكما ، لكن الجو حار .

لـــيزانكا : هيا معنا يابابا .

ألكسندرا

ايفانفنا : هيا اذهب معهما . . هيا . . ان جسمك آخذ في البدانة .

بيوتر

سيمونفتش: هذا عين الصواب . . ولكنى سآتى بالسجائر أولا (يغادر المكان)

المشـــهد الســـادس

الشخصيات السابقة دون بيوتر سيمونفتش

ألكسندرا

ايفانفنا : وأين بقية الشباب ؟

ليـــوبا : ستيوبا توجه بالدراجة الى المحطة ، وميتّرفان يرميليتش ذهب مع بابا الى المدينة ، أما الصغار ، فيلعبون الكروكيه وفانيا هنا في شرفة مدخل البيت مشغول بالكلاب .

ألكسندرا

ايفانفنا : ها . . هل اتخذ ستيوبا قراره أم لا ؟

ليـــوبا : نعم . . لقد قدم بنفسه طلب التطوع للخدمة العسكرية . . لقد أغلظ القول لبابا بالأمس الى حد الفظاظة .

ألكسندرا

ايفانفنا : لاغرابة في هذا . . ان الأمر صعب بالنسبة له كذلك . . النيابا دباسيانس كيى تيان (١) . . يريد الشاب بدء حياته فيقال له : اذهب وافلح الأرض . . .

ليـــوبا : بابا لم يقل له هذا . . لقد قال . . .

ألكسندرا

ايفانفنا : لايهم مااللذى قاله . . ولكن ينبغى أن يبدأ ستيوبا حياته . وهل يعقل أن يكون الرد بالسلب على كل ماينويه ؟ ! وهاهو ستيوبا قادم بنفسه .

(يقترب ستيوبا بدراجته)

المشــهد السابــع

الشخصيات السابقة ، ستيوبا

ألكسندرا

ايفانفنا : كونتون بارل دى سولى ، أون فواسيه ريبون (٢) . . كنا نتحدث عنك لتونا . تقول ليوبا انك أسأت القول لوالدك .

---

(١) بالفرنسية IL n'ya pas de patience qui tienne.
وتعنى : للصبر حدود .

(٢) بالفرنسية Quand on parle du soleil, on en voit
وتعنى : اذكر غائبا يقترب .

ستيوبا : لا على الاطلاق .. لم يكن هناك مايستحق الذكر . لقد أعرب لى عن رأيه ، وقلت له رأيى . . لست مذنبا في ان آرائنا مختلفة . الواقع أن ليوبا لاتفهم شيئا ورغم ذلك تبدى رأيها في كل شيء .

الكسندرا

ايفانفنا : وماذا قررتم ؟

ستيوبا : لست ادرى ماالذى قرره بابا ، واخشى الا يكون على علم بما عليه ان يتخذ من قرار ، ولكنى قررت بينى وبين نفسى الالتحاق متطوعا بسلاح الفرسان الثقيلة . انهم لدينا في البيت يجعلون من كل شيء مشكلة من نوع خاص ، رغم بساطة المسائل كلها . لقد انهيت الدراسة بالمدرسة ويتحتم على اداء الخدمة العسكرية . . واداء الخدمة العسكرية بين الضباط السكيرين والأفظاظ في الجيش امر يثير الاشمئزاز ، ولذا فانني رايت الالتحاق بسلاح الفرسان حيث لدى من الأصدقاء الكثيرون .

الكسندرا

ايفانفنا : ولكن لماذا لم يكن بابا موافقا على ذلك ؟

ستيوبا : بابا ؟ ماجدوى الحديث عنه . . انه الآن تحت تأثير فكرة ثابتة ولذا لايرى الا مايريد رؤيته . يقول ان الخدمة العسكرية اكثر الأعمال دناءة وعلى هذا لاينبغى اداؤها ، ولهذا السبب لن يعطيني نقودا .

ليزانكا : لا . . ياستيوبا . . انه لم يقل ذلك . . فانني كنت موجودة هناك آنذاك . . لقد قال انه اذا لم يكن هناك مفر من

الخدمة العسكرية فينبغي اداؤها بعد الاستدعاء لها .
اما التطوع فانه يعني انك تختارها مهنة بنفسك .

ستيوبا : ولكنني انا الذى سوف اخدم لا هو . . لقد خدم هو في الجيش .

ليزانكا : كما انه لم يقل انه لن يعطيك نقودا ، بل قال انه لا يستطيع المساهمة في امر يتناقض مع عقائده .

ستيوبا : ليس هناك محل للعقائد هنا . . ينبغي الخدمة في الجيش وهذا كل مافى الأمر .

ليزانكا : لم اقل الا ماسمعته .

ستيوبا : انى اعرف انك متفقة مع بابا في كل شيء . . اتدرين ياخالتى ان ليزا الى جانب بابا في كل الأمور . ؟

ليزانكا : ان ماهو حق . . .

الكسندرا

ايفانفنا : ليس هذا علي بجديد . . ان ليزا تقف دائما الى جانب كل ماهو احمق . . انها تشمشم لتجد الحماقات . . ال فلير سيلا دلوان (١)

المشهد الثامن

الشخصيات السابقة ، فانيا

يدخل فانيا جريا وهو يرتدى قميصا احمر اللون ومعه الكلاب وبرقية

---

(١) بالفرنسية Elle flaire cela de loin
وتعنى : انها تشتم الحماقات .

انيــا : (مخاطبا ليوبا) هل لك ان تخمنى من الذى سيأتى الينا ؟

ليوبــا : مامن حاجة الى التخمين . . هات هذه البرقية (تمد قامتها نحوه ولكنه لايعطيها البرقية)

فانيــا : لن اعطيك اياها ، ولن اقول لك مابها . . سيجىء من سيجعل وجنتيك تتوردان .

ليوبــا : يالحماقتك ! من الذى ارسل البرقية ؟

فانيــا : هاقد توردت وجنتاك . . توردت وجنتاك . . احقا توردت وجنتاها ياخالة الينا (١) ام لا ؟

ليوبــا : يالهذه الحماقات ! ممن هذه البرقية ؟ ممن ياخالة الينا ؟

ألكسندرا

ايفانفنا : انها من آل تشير مشانف .

ليوبــا : آ !

فانيــا : حقا . . آ . . ثم آ . . . ماالذى يجعلك تشعرين بالخجل هكذا ؟

ليوبــا : أريني البرقية ياخالتى . . (تقرأ) « سنصل ثلاثتنابقطار البريد (٢) . آل تشير مشانف » . اذن ستصل البرنسيسة وباريس وتونيا . . كم أنا سعيدة !

فانيــا : طبعا سعيدة . . وسعيدة جدا ! انظر ياستيوبا كيف احمر وجهها .

ستيوبا : كف عن هذه المضايقات . . ماتقوله تعيده .

---

(١) الينا : صيغة تدليل من اسم الكسندرا ، المترجم .

(٢) قطار البريد : قطار ركاب بطىء يقف فى كل المحطات ، المترجم .

فانيـــا : انك تتحدث هكذا لأنك تغازل تونيا أنت الآخر . أرى أنه عليكما أن ترميا قرعة لأنه يستحيل أن يتزوج رجل أخت زوج شقيقته وتتزوج أخته من شقيق زوجته

ســتيوبا : كفاك هراء . . من الأفضل ألا تتعرض لنا . . كم مرة قلنا لك ذلك .

ليزانكا : اذا كانوا سيأتون بقطار البريد فانهم على وشك الوصول الآن .

ليوبـــا : هذا صحيح . . اذن لن نذهب لجمع الفطر .

(يدخل بيوتر سيمونفتش وقد أحضر سجائره)

المشهد التاسع

الشخصيات السابقة ، بيوتر سيمونفتش

ليوبـــا : اننا لن نذهب ياعم بيتيا (١) .

بيوتر
سيمونفتش : وماالذى حدث ؟

ليوبـــا : ستصل أسرة تشير مشانف الآن . . من الأصوب أن نلعب دورا من التنس . . هل تلعب ياستيوبا ؟

ســتيوبا : لامانع . .

ليوبـــا : سنلعب أنا وفانيا ضدك أنت وليزانكا . . موافقون ؟ سأذهب لاحضار الكرات وكذلك الأولاد الذيـــن سيجمعونها وقت اللعب .

(تغادر المكان)

---

(١) بيتا : صيغة تدليل من اسم بيوتر ، المترجم .

المشهد العاشر

الشخصيات السابقة دون ليوبا

بيوتر
سيميونفتش: وهاأنا لم أذهب الى أي مكان .

القس : (يهم بمغادرة المكان) مع خالص تحياتى لكم .

ألكسندرا
ايفانفنا : لا . . انتظر ياأبتى . . انى أود الحديث معك . . كما أن نيقلاي ايفانفتش سرعان ماسيعود .

القس : (يجلس مرة أخرى ويبدأ في التدخين) ربما يعود بعد وقت طويل .

ألكسندرا
ايفانفنا : هاهو أحدهم قد وصل الآن . . من المرجح أنه هو

بيوتر
سيميونفتش: ومن السيدة تشير مشانفا هذه ؟ ياترى هل هى التى كان اسم عائلتها قبل الزواج جاليتسينا ؟

ألكسندرا
ايفانفنا : انها هى . . تشير مشانفا التى كانت تعيش في روما مع خالتها .

بيوتر
سيميونفتش: سأكون سعيدا حقا برؤيتها . . انى لم أرها منذ ان كنا في روما ، حيث كنا نغنى سويا الدويتو(١) . كان غناؤها غاية في الرقة . أعتقد أن لديها طفلين ؟

(١) الحان ثنائية ، المترجم .

ألكسندرا
ايفانفنا : هذا صحيح ، وستأتى بهما معها .

بيوتر
سيميونفتش: لم أكن أعلم أنهم على هذا القدر من الصداقة مع أسرة صار ينتسف .

ألكسندرا
ايفانفنا : ليست هناك صداقة قوية ، ولكنهم كانوا معا بالخارج في العام الماضى . . لا برنسس آدى في سير ليوبا بور سان فيس . ستين فين موش ،الفيليراين جولى دوت(١) .

بيوتر
سيميونفتش: ولكن أسرة تشير مشانف كانت ثرية كذلك .
ألكسندرا
ايفانفنا : كانت . . . البرنس على قيد الحياة ، ولكنه بدد كل ثروته وأدمن الخمر ادمانا لا علاج منه . . ولقد قدمت هى طلبا باسم جلالة القيصر فانقذت بذلك بعض فتات الثروة ، وهجرته ، ولكنها ربت طفليها أفضل تربية . . الفولوى رندر ست جوستيس(٢) ابنتها

---

(١) بالفرنسية La princesse a des vues sur Louba pour son fils. C'est une fine mouche, elle flair une jolie dot

وتعنى : تفكر البرنسيسة فى ليوبا كزوجة لابنها .. انها امرأة بعيدة الغور حيث ترى فى الأمر دوطة كبيرة (الدوطة ما تدفعه العروس لعريسها) .

(٢) بالفرنسية IL fout lui rendre cette justice

وتعنى : ينبغى ان توفى حقها .

* نقصد نيقلاى ايفانفتش .

تتقن عزف الموسيقى ، أما ابنها فقد تخرج من الجامعة وهو شاب لطيف جدا . . ولكننى أعتقـــد أن ماشا لن تكون سعيدة بهذه الزيارة ، ذلك لأنها ليست في الوقت المناسب لها الآن . . وها هو نيقـــولا . .

(يدخل نيقـــلاى ايفانفتش)

المشهد الحادى عشر

الشخصيات السابقة ، نيقـــلاى ايفانفتش

نيقـــلاى
ايفانفتش : أهلا بكما يا ألينا وبيوترا سيمونفتش (مخاطبا القس) ها . . أنت هنا يا فاسيلي نيكانور فتش ؟ ! (يصافحه باليد محييا) .

ألكسندرا
ايفانفنـــا : لا تزال هناك قهوة . . هل أصب لك بعضاً منها ؟ انها باردة نوعا ما ، ولكن من الممكن تسخينها . (تـــدق الجرس) .

نيقـــلاى
ايفانفتش : لا . . شكرا . . لقد تناولت فطارى . . وأين ماشا ؟

ألكسندرا
ايفانفنـــا : انها ترضع الطفـــل .

نيقـــلاى
ايفانفتش : وهل هى في صحة جيدة ؛ ؟

ألكسندرا
ايفانفنـــا : لا بأس بها . . ها . . هل انتهيت من أمورك ؛؟

نيقـــلاى

ايفانفتش : نعم انتهيت منها (يبدو عليه الانفعال) وعلى فكرة . . لو كان هناك شاى أو قهوة فاعطنى فنجانا (مخاطباً القس) أراك قد أحضرت الكتاب . . هل قرأته ؟ كنت أفكر فيك طول الطريق .

(يدخل الخادم ويحيي الموجودين . يمد نيقلاى ايفانفتش يده له ليصافحه . تهز ألكسندرا ايفانفنا كتفيها دهشة وتتبادل النظرات مع زوجها) .

المشهد الثانى عشر

الشخصيات السابقة ، الخـــادم

ألكسندرا

ايفانفنـــا : سخن السانوار لو سمحت . .

نيقـــلاى

ايفانفتش : ما من حاجة إلى ذلك يا ألينا . . انى لا أريد شيئاً ، وإذا أردت فانني سأشرب دون تسخين .

المشهد الثالث عشر

الشخصيات السابقة ، ميســـى

ميســـى : (تهرع من ملعب الكروكيه حالما رأت والدها تعلقت برقبته) : بابا . . هيا معى لنلعب سوياً .

نيقـــلاى

ايفانفتش : (ملاطفا إياها) : حالا . . حالا . . ولكن دعينى أشرب الشاى أولا . . اذهبى وألعبى وسأوافيك فيما بعد .

المشهد الرابع عشر

الشخصيات السابقة دون ميسى

ألكسندرا

ايفانفنـــا : ها . . هل أدان مجمع قضاة الاستئناف الفلاحين ؟

(يجلس نيقلاى ايفانفتش إلى المائدة ويبدا في الأكل وشرب الشاى في نهـــم) .

ها . . هل ادين الفـــلاحون ؟

نيقـــلاى

ايفانفتش : نعم ادينوا . . ادينوا ، كما انهم قد اعترفوا بأنفسهم (مخاطبا القس) كنت اعتقد ان رينان * غير مقنـــع إلى حد ما بالنسبة لك . .

الكسندرا

ايفانفنـــا : ولكنك لم توافق طبعاً على قرار المحكمة ؟

نيقـــلاى

ايفانفتش : (بشيء من الضجر) : طبعاً لم اوافق (مخاطبا القس) ان القضية بالنسبة لك ليست في ربوبية المسيح ، وليست في تاريخ المسيحية ، بل في الكنيسة . . .

الكسندر

ايفانفنـــا : افهم من هذا انهم اعترفوا . . ايه فولير افيه دونيـــه ان ديمانتى (١) . . انهم طبعاً لم يسرقوا شيئاً ، بل اخذوا الأشجار .

---

(١) بالفرنسية et vous leur avez donné un démenti

وتعنى : وقمت انت بتنفيذ اقوالهم .

* ارنست جوزيف رينان (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢) مؤرخ دينى وعالم باللغات السامية وفيلسوف فرنسى .

نيقــلاى

ايفانفتش : (يهم بالحديث مع القس ، ولكنه يلتفت إلى الكسندرا ايفانفنا قائلا في حسم) : ألينا يا عزيزتي . . لا تلاحقيني بهذه الوخزات والتلميحـات . .

السكندرا

ايفانفنــا : انا . . لا على الاطلاق . . .

نيقــلاى

ايفانفتش : وإذا كنت تريدين حقاً معرفة السبب الذى لا يجعلني استطيع مقاضاة الفلاحين لقطعهم الأشجار التى هم في حاجة إليها . . .

الكسندرا

ايفانفنــا : واعتقد انهم في حاجة إلى هذا السانوار كذلك . . .

نيقــلاى

ايفانفتش : اقول لك إذا كنت تريدين ان اخبرك بالسبب الذى يجعلني لا استطيع السماح بسجن هؤلاء الناس وضياعهم لأنهم قطعوا عشرة اشجار من الغابة التى تعتبر ملكا لى ...

الكسندرا

ايفانفنــا : إذا كنت تقول « تعتبر » فان الجميع يعتبرونها حقاً ملكاً لك . .

بيــوتر

سيميونفتش : ها قد عدنا إلى الشجار من جديد . . الأفضل ان اذهب إلى الحديقة بالكلاب (ينزل من الشرفة)

نيقــلاى

ايفانفتش : وحتى لو فرض واعتبرنا ، وهو ما لا استطيعه ، ان

هذه الغابة ملكي ، فان لدينا تسعين ديسيتينا(١) من الأشجار وفي كل ديسيتينا حوالى خمسمائة شجرة ، وعلى هذا يكون لدينا اربعمائة وخمسون الف شجرة (على ما يبدو) . . وانهم قطعوا عشرة اشجار . . اى واحد على خمسة واربعين الف مما لدينا . . فهل يستحق الأمر الأهتمام . . وهل من الممكن لهذا السبب انتزاع رجل من أسرته والزج به في السجن ؟

ستيوبا : ولكن إذا لم يكن هناك عقاب عن هذا الواحد من الخمسة والأربعين الف ، فسرعان ما سيتم قطع كل الـ ٤٤٩٩٩ من الـ ٤٥٠٠٠ شجرة .

نيقـلاى

ايفانفتش : كنت اقول هذا لخالتك فقط ، ولكن الواقع هو انه ليس لى حق بالمرة في هذه الغابة . . فان الأرض ملك للجميع . . بمعنى انها ليست مملوكة لأحد ، كما اننا لم نبذل اى جهد في هذه الأرض .

ستيوبا : هذا غير صحيح . . لقد ادخرت انت المال وعملت على حراستها .

نيقـلاى

ايفانفتش : ولكن ما هى الطرق التى حصلت بها على هذه المدخرات ؟ ثم انى لم احرس الغابة بنفسى . . وفضلا عن ذلك من الصعب اثبات هذه المسألة لو لم يشعر الإنسان من تلقاء نفسه انه يقضى على اخيه الإنسان .

ستيوبا : ما من أحد يقضى على الآخر .

---

(١) ديسيتينا : وحدة قياس المساحة فى روسيا قبل الثورة وتقارب الهكتار ، المترجم .

نيقـــلاى

ايفانفتش : تماما هكذا كما لا يشعر المرء بالخجل من أنه يستغل كدح الآخرين دون أن يبذل هو جهداً ما . . ويستحيل إثبات هذه المسألة كذلك . . وكل الاقتصاد السياسى الذى درسته أنت في الجامعة لا فائدة منه سوى تـــبرير الوضع الذى وجدنا أنفسنا فيه .

ستيوبا : بالعكس . . ان العلم يهدم أي من أنماط المحاباة في الفكـــر .

نيقـــلاى

ايفانفتش : ولكن . . على فكرة . . ليس هذا مهما بالنسبة لي . . ان ما يهمنى هو أني أعرف أننى لو كنت مكان يفيم لفعلت نفس ما فعله ، ثم لشعرت بالقنوط بعد هذه الفعلة لو ألقوا بي في السجن . . ولذلك . . ولأننى أريد أن أعامل الآخرين مثلما أود أن يعاملونى . . فانى لا أستطيع اتهامه وأبذل كل ما أستطيع لتخليصه .

بيـــوتر

سيميونفتش: ولكن إذا كان الأمر على هذا النحو فلا يجوز أن يمتلك الإنسان شيـــئا .

ألكسندرا

ايفانفنـــا : إذن أن يسرق المرء أجدى من أن يعمـــل .

ستيوبا : انك لا تجيب على القرائن دائماً .. أقول ان من ادخر مالا يحق له الاستفادة منه .

الجميع في آن واحد

نيقـــلاى

ايفانفتش : (وهو يبتسم) لست أدرى حقاً من الذى أرد عليــه (مخاطباً بيوتر سيميونفتش) لا يجوز فعلا أن يمتلك الإنسان شيئاً .

ألكسندرا

ايفانفنـــا : وطالما لا يجوز للإنسان أن يمتلك شيئا ، فلا يجوز له أن يمتلك ثيابا . . أو كسرة خبز ، بل ينبغي أن يجود بكل ما لديه ومن ثم لا يجوز له أن يعيش بالمرة .

نيقـــلاى

ايفانفتش : لا يجوز حقاً العيش كما نعيش .

ستيوبا : أفهم من هذا أنه ينبغى الموت . . وعلى هذا فان العقيدة الجديدة لا تصلح للحيـــاة .

نيقـــلاى

ايفانفتش : لا . . ان رسالتها من اجل الحياة وحدها . . نعم ينبغى الجود بكل شيء . . ولا يقتصر الأمر على أن نجود بالغابة التى لا نستخدمها والتى لم نرها أبدا ، بل يجب أن نجود بثيابنا وخبزنا كذلك . .

ألكسندرا

أيفانفنـــا : بما في ذلك خبز الأطفال أيضا ؟

نيقـــلاى

ايفانفتش : نعم وبخبز الأطفال أيضا . . وليس بالخبز وحده ، بل وبالنفس كذلك . . وفي هذا تعاليم المسيح . . يجب بذل كل جهد ليجود الإنسان بنفسه .

ستيوبـــا : معنى هذا أن يمــوت . .

نيقـــلاى

ايفانفتش : نعم . . إذا كنت ستموت من أجل اخوانك . فسيكون هذا عظيما لنفسك وللآخرين كذلك . . ولكن الأمر وما فيه أن الانسان ليس روحاً فقط ، بل هو روح في جسد . . والجسد يشد المرء ليعيش لنفسه ، أما روح الاستنارة فتجتذبه ليعيش للرب وللآخرين . . والحياة تمضى لدى الجميع حياة لا حيوانية ، تحكمها التعادلية . . وكلما كان المــرء أقرب من الحيـــاة للرب كان ذلك أفضل . . وعلى هذا . . كلما حاولنا نحن الحياة للرب يكون هذا أفضل لنا . أما الحياة الحيوانية فلها أن تسعى هـــى لذات نفسها .

ســتيوبا : ولم اذن الوسطية والتعادلية اذا كان من الأفضل ان يعيش المرء ليهب كل مالديه ويموت ؟

نيقلاى

ايفانفتش : هذا عظيم . . حاول ان تفعل هذا وسيكون هذا حسنا لك وللاخرين .

الكسندرا

ايفانفنا : لا . . هذا غير مفهوم . . ليس الأمر بهذه البساطة . . سيه تيريه بارليه شيفيه . (١)

نيقلاى

ايفانفتش : ماباليد حيلة . . هذا امر من غير الممكن تفسيره بالكلام . . وعلى فكرة . . يكفى هذا . .

---

(١) بالفرنسية C'est tiré par les cheveux

وتعنى : فى هذا الكثير من المبالغة .

ستيوبا : حقا . . كفى . . وانا كذلك لاافهم شيئا . . (يغادر المكان)

المشهد الخامس عشر

الشخصيات السابقة دون ستيوبا

نيقلاى
ايفانفتش : (مخاطبا القس) : ماهو الانطباع الذى احدثه الكتاب في نفسك ؟

القس : (بانفعال) لاادرى كيف يمكن القول . . ولكن الجانب التاريخي مدروس بما فيه الكفاية . ولكن الاقناع والأصالة ، اذا جاز القول ، غير كاملين ، لأن المادة ، اذا جاز القول ، ليست كافية الى حد بعيد . . من غير الممكن اثبات ، اذا جاز القول ، ربوبية المسيح او عدم ربوبيته ، من الناحية التاريخية ولكن هناك برهانا لايقبل الجدل . . .

(يغادر المكان اثناء الحديث النساء اولا ثم بيوتر سيميونفتش ويبقى القس ونيقلاى ايفانفتش وحدهما)

نيقلاى
ايفانفتش : تقصد الكنيسة . .

القس : من البديهى ان تكون الكنيسة . . ثم برهان ، اذا جاز القول ، الشخصيات ، لنقل . . الشخصيات الحقيقية . . القديسين لو جاز القول . .

نيقلاى
ايفانفتش : من الطبيعي ان يكون الأمر عظيما لو كانت هناك طائفة

من المنزهين عن الخطأ يمكن لنا ان نؤمن بها . . ياحبذا
لو كانت هناك مثل هذه الطائفة ، ولكن كون هذا
مرغوبا فيه لايبرهن على وجودها . .

القس : اعتقد ان هذا في حد ذاته يبرهن على وجود مثل هذه
الطائفة ، ذلك لأن الرب لم يكن ليتيح ، اذا جاز القول
الامكانية ليتعرض قانونه للتشويهات والتفسيرات ،
ولذا اوجد كيانا يحمى ، اذا جاز القول ، حقائقه ،
وبحيث لايمكن ان تتعرض هذه الحقائق في ظل هذا
الكيان للتحريفات .

نيقلاى
ايفانفتش : حسنا . . ولكن كان الأجدر بكم ان تثبتوا الحقائق
ذاتها ، غير انكم تعملون الآن على اثبات حقيقة الكيان
الذى يحمى هذه الحقائق .

القس : الايمان ، اذا جاز القول ، ضرورى هنا .

نيقلاى
ايفانفتش : اذا كان الأمر يتعلق بالايمان ، فينبغى الايمان حقا فلا
يمكن للمرء ان يعيش دون ايمان ، ولكن لاينبغى الايمان
بما يقولونه لى الآخرون ، بل من الضرورى
ان يكون الايمان بما توصل اليه المرء ذاته وبعقله هو
ينبغى الايمان بالرب وبالحياة الأبدية اليقينية ...

القس : غير ان العقل قد يخدع صاحبه . . كما ان لكل منا عقله.

نيقلاى
ايفانفتش : (بحدة) هذا هو التجديف بكل فظاعته . . لقد وهبنا

الله سلاحا مقدسا لمعرفة الحق . . سلاحا واحدا يمكن ان يوحدنا جميعا ، ولكنا لانؤمن بهذا السلاح .

القـــس : وكيف نؤمن به اذا كانت هناك ، اذاجاز القول ، خلافات في الراى .

نيقلاى

ايفانفتش : أين هى هذه الخلافات ؟ ! ان اثنين واثنين أربعة . . أو لاتعمل للاخرين مالاترضاه لنفسك . . أو لكل شيء سبب . . وغير ذلك من حقائق نعترف بها جميعا ، لأنها تتفق كلها وعقلنا . . أما أن الله تجلى لموسى عند جبل سيناء . . أو أن بوذا طار على شعاع من أشعة الشمس . . أو أن محمدا عرج به الى السماء وأن المسيح صعد الى هناك كذلك . . فان مثل هذه الأمور موضع خلاف بيننا جميعا .

القـــس : لا . . نحن كمؤمنين حقيقيين لسنا مختلفين . . لقد جمع بيننا جميعا ايمان واحد .. هو الايمان بالرب . . بالمسيح .

نيقلاى

ايفانفتش : لا . . ولسنا متفقين هنا كذلك . . ثم لم عليّ أن أصدقك أنت أكثر من اللاما البوذى ؟ ألا لشيء الا لأنني ولدت على دينك هذا ؟

(جدال من جديد بين اللاعبين)

أوت

لا ، ليست أوت

فانيـــا : أوت . . لقد رأيتها بنفسى .

(أثناء الحديث يقوم الخادم باعداد المائدة ويجهز الشاى والقهوة من جديد)

نيقلاى

ايفانفتش : تقول ان الكنيسة تهب الوحدة للناس ، ولكن الواقع هو أن الأمر على النقيض من ذلك . . فقد كانت الكنيسة دائما السبب في أبشع الانقسامات . . انظر قول الانجيل « كم مرة أردت أن أجمع أولادى كما تجمع الدجاجة أفراخها » . .

القـــس : كان ذلك قبل المسيح . . ولقد جمع المسيح الجميع .

نيقلاى

ايفانفتش : المسيح جمع الناس حقا ، ولكنا فرقناهم لأننا فهمناه بصورة معكوسة . . لم يكن المسيح ينادى بالكنيسة .

القـــس : ولكن كيف اذن قوله : « قل للكنيسة » ؟

نيقلاى

ايفانفتش : الأمر ليس في الكلام . . ثم ان هذه الكلمات لاتقول شيئا البتة عن الكنيسة . . ان جوهر الأمر في روح التعاليم . ان تعاليم المسيح تعاليم عالمية ، تتضمن كل الاعتقادات ، ولاتسمح بوجود ماهو خارق : لا بعث المسيح ، ولاربوبيته ، ولا الأسرار المقـــدسة ، ولا أي شيء من شأنه تفريق الناس .

القـــس : إذن يمكن القول ان هذا ، اذا جاز التعبير ، تفسيرك لتعاليم المسيح . غير أن تعاليم المسيح تقوم كلها على أساس ربوبيته وبعثه .

نيقلاى

ايفانفتش : وفي هذا بالذات تظهر فظاعة الكنائس . . انها تحدث الفرقة بين الناس بزعمها انها صاحبة الحقيقة الكاملة التي لايتطرق اليها الشك ولاتشوبها الخطايا . . « كن صالحا للكنيسة وللروح القدس » . . هكذا تقول الكنيسة . . وكانت المشكلة قد بدأت منذ أول مجمع للحواريين ، ومنذ ذاك الوقت بدأوا يزعمون أنهم أصحاب الحقيقة الكاملة وحدهم . . ولكن انظر . . لو قلت . . هناك اله وهناك بداية للعالم ، فان الجميع سيتفقون معى ، ولكنى لو قلت إن هناك الاله براهما ، أو اله اليهود ، أو الثالوث ، فان مثل هذه الالوهية تفرقنا . . ان الناس يريدون الوحدة ، ولذا يوجدون سبل هذه الوحدة ، ولكنهم يتغافلون عن الوسيلة الوحيدة والأكيدة لهذه الوحدة . . ألا وهى السعى الى الحقيقة . وهذا شبيه بما لو كان الناس في مبنى ضخم والضوء يسقط من أعلى الى وسط المبنى ، ولكنهم يحاولون التجمع في شراذم في أركان المبنى بدلا من أن يتجهوا جميعا نحو الضوء . . ولو كانوا فعلوا ذلك لاتحدوا دون أن يفكروا في الاتحاد .

القس : ولكن كيف يمكن تسيير الناس لو لم تكن هناك ، اذا جاز القول ، حقيقة محددة ؟

نيقلاى

ايفانفتش : وهذا هو الذى يثير الفزع في النفس . . ينبغى على كل منا تطهير نفسه أولا ، وتطبيق التعاليم الدينية على نفسه ، ولكنا مهتمون بتطهير نفوس الآخرين من الناس

وتعليمهم . . ولكن ماالذى نعلمهم إياه ؟ ان تصور مانعلمهم اياه يشيب الشعر من هوله . . اننا نعلمهم الآن . . وفي نهاية القرن التاسع عشر . . أن الله خلق العالم في ستة أيام ، ثم أمر بالطوفان ، وأمر بوضع كل الحيوانات في الفلك ثم كل ماجـاء غير ذلك مـن حكايات وحماقات في العهد القديم . . ثم نعلمهم كذلك أن المسيح أمر بتعميد الجميع بالماء ، كما أمر بالايمان بالكفارة رغم بطلانها وسخفها ، والتى لايمكن للمرء أن يطهر نفسه بدونها ، ثم صعد الى السماء ليكون على يمين الرب . لقد اعتدنا على ذلك ، غير أن هذا ، في الواقع ، أمر مثير للفزع في النفس . . . ان الطفـل البرىء المتفتح على الخير والحق يسأل ماهو العالم وماهو قانونه . . وبدلا من أن نكشف له عن التعاليم البسيطة المرسلة لنا والتى تنادى بالحب والحق ، نبدأ في مثابرة واجتهاد ملء رأسه بكل الحماقات والسخافات الممكنة وغير الممكنة ، والتى تثير هول الانسان ، ثم نلصقها بالله . . هذا أمر فظيع . . فظيع . . ان هذا جريمة دون شك . . جريمة لايوجد أسوأ منها في الدنيا . .ونحن ، وأنت وكنيستكم ، نرتكب هذه الجريمة . . أرجو أن تعذرنى لهذه الكلمات .

القـس : هذا صحيح .. اذا نظرنا الى تعاليم المسيح على هذا النحو . . أقصد اذا نظرنا نظرة عقلانية ، فان هذا صحيح .

نيقلاى

ايفانفتش : مهما كانت النظرة ، فان الأمر لن يكون غير ذلك .

(صمت . تدخل ألكسندرا ايفانفنا)

المشهد السادس عشر

الشخصيات السابقة ، ألكسندرا ايفانفنا

(ينحنى القس مودعا)

ألكسندرا

ايفانفنا : الى اللقاء ياأبتى . . انه سيحيد بك عن جادة الصواب فلا تستمع اليه .

القس : لا . . علينا تمحيص الكتاب المقدس . . ان الأمر اذا جاز القول ، أهم من أن يغفله المرء (يغادر المكان)

المشهد السابع عشر

الشخصيات السابقة دون القس

ألكسندرا

ايفانفنا : الحق يقال . . انك لاتشفق عليه بالمرة يانيقولا . . فرغم انه قس ، الا أنه لايزال شابا أخضر العود ، ولايمكن أن يكون قد اكتسب معتقدات راسخة بعد . . لم ترسخ قدمه في المعارف بعدد . . .

نيقلاى

ايفانفتش : تقصدين ضرورة منحه الوقت كى ترسخ قدمهويخشوشن في الخداع والتضليل . . وماالذى يدعو الىذلك ؟ ! انه صادق السريرة ولاغبار عليه .

ألكسندرا

ايفانفنا : هل لك أن تتصور ماالذى يمكن أن يحدث له لو آمن بك ؟

نيقلاى

ايفانفتش : ليس هناك مايدعو للايمان بما أقول . . أما لو كان قد رأى الحقيقة بنفسه ، لكان ذلك أمرا عظيما . . عظيما له والاخرين .

ألكسندرا

ايفانفنا : لو كان ، كما تقول ، الأمر عظيما لآمن بما تقول الجميع . . مامن أحد يؤمن بما تقوله . . وزوجتك أقل الجميع أيمانا . . والأكثر من ذلك انها لاتستطيع هذا .

نيقلاى

ايفانفتش : ومن الذى قال لك ذلك ؟

ألكسندرا

ايفانفنا : عليك أن توضح لها الأمر . . انها لن تفهم شيئا على الاطلاق ، كما انى لن أفهمه ، بل لن يفهمه أحد في العالم . . هل يمكن لأحد أن يفهم ضرورة الاهتمام بالغرباء من الناس واهمال حال من هم من صلبه من أطفال . . هذا هو الذى ينبغى عليك أن توضحه لماشا (١)

نيقلاى

ايفانفتش : لاشك أن ماشا ستفهم هذا حتما . . أرجو أن تعذرينى ياالينا اذا كنت اقول الحق . . لو لم تكن هناك تأثيرات عليها من الغير . . وهى بطبعها تميل الى الاستسلام للتأثيرات . . لكانت قد فهمتنى وسارت في طريق واحد معى . .

---

(١) ماشا : صيغة تدليل من اسم ماريا ، المترجم .

الكسندرا

ايفانفنا : تسير معك في طريق حرمان اولادكما من كل شيء لصالح يفيم السكير وصحابته؟ هذا لن يكون ابدا .. اما اذا كنت زعلانا منى ، فأرجو المعذرة .. انى لا أستطيع الصمت .

نيقلاى

ايفانفتش : لست زعلانا منك ، بل على النقيض من ذلك .. انى مسرور لأنك قلت ما في نفسك ، واتحتى لى الفرصة ، بل اقول .. اثرتى في الرغبة في ان اعبر لها عن رأيي كله بنفسى .. كنت افكر في هذا اثناء الطريق .. والان سأخبرها بنفسى .. وسترين انها ستتفق معى لأنها امرأة ذكية طيبة القلب .

الكسندرا

ايفانفنا : اسمح لي ان اشك في هذا .

نيقلاى

ايفانفتش : لا .. انى لاشك .. ان ما اقوله ليس اختراعا من عندى ، بل هو ما نعرفه جميعا وما كشف لنا المسيح عنه .

الكسندرا

ايفانفنا : في رأيك ان المسيح كشف لنا عن هذا ، أما انا فأعتقد انه اوضح لنا شيئا آخر .

نيقلاى

ايفانفتش : لايمكن ان يكون هناك شيء آخر .

(تصل صيحات الفتية والفتيان وهم يلعبون)

ليـــوبا : اوت !

فانيـــا : لا . . لم نر هذا .

ليزانكا : لقد وقعت الكرة هناك .

ليـــوبا : اوت . . اقول . . اوت . . يعني اوت .

فانيـــا : هذا غير صحيح .

ليـــوبا : اولا . . ليس من باب اللياقة قول «غير صحيح .»

فانيـــا : اعتقد انه ليس من باب اللياقة قول غير الصدق .

نيقـــلاى

ايفانفتش : مهلا . . لاتجادلى في الأمر . . بل اسمعينى .

الكسندرا

ايفانفنا : حسنا . . انى منصتة لك .

نيقـــلاى : اليس حقا اننا جميعا عرضه للموت في اية لحظةوالرحيل اما الى العدم واما الى الرب الذى يطلب منا الحياة وفق ارادته ؟

الكسندرا

ايفانفنا : وماذا بعد ؟

نيقـــلاى

ايفانفتش : اذن . . هل يوجد هناك مايمكن لى ان افعله في هذه الحياة سوى ماتتطلبه اعلى قوة حاكمة في نفسى . . اقصد ضميرى . . اي الرب ؟ ان الضمير . . اي الرب . . يطالبني بأن اعتبر الجميع متساوين ، وان احب الجميع واخدم الجميع . .

ألكسندرا
ايفانفنا : بما في ذلك أولادك كذلك .

نيقــلاى
ايفانفتش : هذا بديهى . . وأولادى كذلك . . ولكن بحيث أفعل كل مايأمرنى به ضميرى . . ان جوهر الأمر هنا هو ادراك أن حياتى ليست ملكا لى وأن حياتك ليست ملكا لك . . بل هى ملك للرب الذى بعثنا في الحياة والذى يطلب منا أن نلبي ارادته . . وارادته . . .

ألكسندرا
ايفانفتش : وهل يمكنك اقناع ماشا بهذا ؟

نيقــلاى
ايفانفتش : بكل تأكيد .

ألكسندرا
ايفانفنا : وهل تظن انها ستكف عن تربية الأولاد كما ينبغى وتتركهم وشأنهم ؟ لن يكون هذا أبدا . .

نيقــلاى
ايفانفتش : ليست وحدها هى التى ستفهم هذا ، بل ستفهمينه أنت كذلك . . مامن شيء آخر يمكن أن يفعله الانسان .

ألكسندر
ايفانفنا : لن توافق على هذا مطلقا .

(تدخل ماريا ايفانفنا)

المشهد الثامن عشر

الشخصيات السابقة ، ماريا ايفانفنا

نيقــــلاى
ايفانفتش : كيف حالك ياماشا ؟ ألم أوقظك من النوم حين خرجت صباح اليوم ؟

ماريا
ايفانفنا : لا . . لم أكن نائمة . . وكيف كانت رحلتك ؟

نيقــــلاى
ايفانفتش : على خير مايرام .

ماريا
ايفانفنا : لم تشرب كل شيء دون تسخين دائما ؟ وعلى فكرة . . يجب اعداد طعام لاستقبال ضيوفنا . . ان تشير مشانفا وابنها وابنتهاقادمون لزيارتنا .

نيقــــلاى
ايفانفش : لابأس . . انى سعيد جدا بذلك طالما كانوا محببين الى نفسك .

ماريا
ايفانفنا : انى أحبها وأحب صغيريها ، ولكن الزيارة جاءت في وقت غير مناسب بعض الشيء .

الكسندرا
أيفانفنا : (تنهض) حسنا . . يمكنك أن تتحدثي معه . . أما آنا فسأذهب لرؤية الأولاد وهم يلعبون (تغادر المكان) .

المشهد التاسع عشر

الشخصيات السابقة دون ألكسندرا ايفانفنا
(فترة صمت يبدأ بعدها نيقلاى ايفانفتش وماريا
ايفانفنا الحديث في آن واحد)

ماريا
ايفانفنا : ليس هذا وقت الزيارة لأنه من الضرورى لنا أن نتحادث

نيقــلاى
ايفانفتش : لقد قلت لألينا الآن . . .

ماريا
ايفانفنا : ماذا قلت ؟

نيقــلاى
ايفانفتش : لا . . هيا تكلمى أنت .

ماريا
ايفانفنا : كنت أريد الحديث معك حول ستيوبا . . فالأمر يقتضى التوصل الى قرار . . المسكين يعانى ولايدرى ماالذى سيحدث له . انه يأتينى بالســؤال ، ولكنى لاأستطيع اتخاذ قرار .

نيقــلاى
ايفانفتش : وهل هناك مايستوجب القرار ؟ انه يستطيع اتخاذ القرر بنفسه .

ماريا
ايفانفنا : انك تعلم انه يريد الالتحاق متطوعا بحرس الخيالة ويحتاج منك لشهادة كى يتسنى له التطوع ، كما أنه

في حاجة الى الانفاق على نفسه . . وهاأنت لاتعطيه شيئا (يبدو عليها الانفعال)

نيقـــلاى
ايفانفتش : ماشا . . استحلفك الله ألا تنفعلى واسمعينى . . انى لاأستطيع العطاء أوعدم العطاء . . انى أرى أن الالتحاق بالخدمة العسكرية تطوعا اما تصرفا أحمق غبيا لايقدم عليه الا انسان طائش لايدرك كل قماءة هذا الأمر واما تصرفا خسيسا اذا كان الانسان يقدم عليه لغرض من الأغراض . .

ماريا
ايفانفنا : ان كل شيء في رأيك الآن طائش وأحمق . . ولكن لاتنسى أنه في حاجة الى أن يعيش . . لقد عشت أنت حياتك . .

نيقـــلاى
ايفانفتش : (محتدا) عشت حياتى حين لم أكن أدرك شيئا وحين لم يكن هناك من يقول لى شيئا . . ولكن الأمر ليس متعلقا بى الآن ، بل به .

ماريا
ايفانفنا : كيف . . ليس متعلقا بك ؟ ! انك لاتعطيه نقودا .

نيقـــلاى
ايفانفتش : لاأستطيع اعطاء ماهو غير مملوك لى .

ماريا
ايفانفنا : كيف غير مملوك لك ؟ !

نيقـــلاى

ايفانفتش : ان كدح الناس الآخرين ليس ملكا لى . . ان النقود التى سأعطيها له يجب أن آخذها من كدح الآخرين . . وليس لى الحق في ذلك ولا استطيع الاقدام على هذا . . طالما أنا المتصرف في أمر العزبة ، فانى لا أستطيع التصرف في أى شيء الا بما يمليه على ضميرى . . انى لا أستطيع اعطاء عرق الفلاحين الذين يكدحون بكل ما أوتوا من قوة ليصرف هو على حفلات منادمة الفرسان خذوا منى العزبة وعندئذ لن أكون مسئولا .

ماريا

ايفانفنا : ولكنك تعلم أنى لاأريد هذا ، ولا أستطيع تحمل أعبائها . . فعلي أن أربى الأولاد وأرضع الصغار ، وألد . . ان هذه قسوة . .

نيقـــلاى

ايفانفتش : ماشا ياعزيزتى ! ان المشكلة ليست في هذا . . عندما بدأت أنت الحديث ، بدأته أنا كذلك ، وكنت أريد الحديث معك حديث القلب للقلب . . عليك أن تفهمى أنه يستحيل أن يكون الأمر على هذا النحو . . اننا نعيش معا ورغم ذلك لايفهم كل منا الآخر . . وفي بعض الأحيان يبدو لى أننا لانفهم بعضنا البعض عن عمد .

ماريا

ايفانفنا : انى أريد الفهم ، ولكنى لاأفهم . . لاأفهمك ولاأفهم ماالذى حدث لك . . .

نيقـــلاى
ايفانفتش : اذن عليك أن تحاولى الفهم رغم أن الوقت غير مناسب الآن ، كما أن الله أعلم متى سيحين هذا الوقت . . عليك ألاتفهميني بقدر ما تفهمى نفسك . . افهمى حياتك . . يستحيل العيش على هذا النحو ودون أن ندرك لم نعيش .

ماريا
ايفانفنا : ولكنا كنا نعيش فيما سبق على هذا النحو . . وكنا نعيش عيشة رائعة (تلحظ التعبير عن الأسى يرتسم على وجهه) حسنا . . حسنا . . انى أسمعك .

نيقـــلاى
ايفانفتش : نعم كنت أعيش على هذا النحو . . أى دون أن أفكر لم أعش . ولكن جاء الوقت الذى شعرت فيه بالهلع . . فها نحن نعيش من عرق الآخرين . الذين نجبرهم على العمل لحسابنا . وننجب الأطفال ونربيهم لنفس الغرض . . ثم تحل بى الشيخوخة ومن بعدها يدركنى الموت . . فساءلت نفسى : لم عشت حياتى ؟ هل عشتها لأنجب هؤلاء الطفيليين مثلى ؟ والأهم من كل هذا هو أن هذه الحياة ليست بالحياة السارة . كما أنه لاينبغى أن ننسى أن المرء يمكنه تحمل مثل هذه النمطية من الحياة طالما كان ينضح بطاقة الحياة مثلما عند ابننا فانيا فقط .

ماريـــا
ايفانفنا : ولكن الجميع يعيشون على هذا النحو .

نيقـــلاى

ايفانفتش : والجميع تعساء .

ماريــــا

ايفانفنا : لاأوافقك على هذا كلية .

نيقـــلاى

ايفانفتش : على الأقل رأيت أنني غاية في التعاسة وأنني أسبب لك وللأولاد التعاسة . . وسألت نفسى : ياترى هل لهذا خلقنا الله ؟ وماأن فكرت في الأمر حتى أدركت على الفور أنه لم يخلقنا لهذا . . وسألت نفسى : لم اذن خلقنا الله ؟

(يدخل الخادم)

المشهد العشرون

الشخصيات السابقة الخادم

ماريــــا

ايفانفنا : (لا تستمع الى زوجها وتخاطب الخادم) : احضر قشدة مغلية .

نيقـــلاى

ايفانفتش : ولقد وجدت الجواب في الانجيل . . اننا لانعيش لأنفسنا بحال من الأحوال . ولقد اتضح لى هذا جليا حين بدأت أفكر ذات مرة في حكاية الكرّامين (١) . . هل تعرفينها

---

(١) الكرامون : العاملون في زراعة وجنى العنب • وتقول القصة ان صاحب كرم سلم بستانه قبل سفره الى كرامين ، وعندما اثمر الكرم ، ارسل عبيده لاخذ الثمار ، فقتلوا منهم من قتلوا ، وضربوا البعض الاخر ، وتركوا البعض الثالث ، ثم أرسل لهم صاحب الكرم عددا أكبر من العبيد ، ففعلوا بهم كذلك ، وعندما ارسل لهم ابنه ، قتلوه كذلك واستولوا على الكرم لأنفسهم • انظر انجيل متى ، الاصحاح ٢١ ، المترجم •

ماريــا

ايفانفنا : نعم أعرفها . . حكاية الكرامين الذين استأجرهم صاحب الكرم .

نيقـــلاى

ايفانفتش : لقد بينت لى هذه القصة فيم خطئى . . كنت أفكر مثل الكرامين حين اعتقدوا أن البستان أصبح ملكا لهم . . وكنت أعتقد أن حياتى ملك لى . . وأصابنى هذاالتفكير بالفزع . . ولقد أدركت الآن أن حياتى ليست ملكا لى . وأننى بعثت في الحياة لاتباع التعاليم الالهية .

ماريــا

ايفانفنا : ليس هذا بجديد . . فكلنا نعلم هذا . .

نيقـــلاى

ايفانفتش : اذن طالما نعلم هذا . فمن غير الممكن مواصلة العيش كما نعيش الآن . لأن حياتنا هذه ليست تنفيذا لارادة الرب . انما مخالفة متواصلة لهذه الارادة .

ماريــا وفيم تخالف حياتنا هذه الارادة اذا كنا نعيش دون أن

ايفانفنا : نلحق شرا بأحد ؟

نيقـــلاى

ايفانفتش : كيف لانلحق باحد شرا ؟ ان في هذا بالذات يكمن فهم الحياة كما كان يفهمها الكرامون هؤلاء . . اننا . .

ماريــا

ايفانفنا : انى أعرف القصة . . ولقد أعطى صاحب الكرم أجورا

متساوية للجميع (١) .

نيقــلاى

ايفانفتش : (بعد صمت) : لاليست هذه القصة . . المهم . . هناك أمر واحد ياماشا . . عليك أن تفكرى أن الانسان يحيا مرة واحدة ، وهذه الحياة نستطيع أن نعيشها إما بطهارة وإما أن نفنيها مفسدين .

ماريــا

ايفانفنا : لست قادرة على التفكير أو التفكر . . انى لاأنام الليل . . أرضع الصغير ، وأدير شؤون البيت . . وبدلا من مساعدتى تقول لى مالاأفهمه .

نيقــلاى

ايفانفتش : ماشا !

ماريــا

ايفانفنا : ثم هؤلاء الضيوف علاوة على كل هذه الأعباء . .

نيقــلاى

ايفانفتش : ولكننا سنتفق (يقبلها) أليس كذلك ؟

ماريــا

ايفانفنا : حسنا . . ولكن عليك أن تكون كما كنت في السابق .

نيقــلاى

ايفانفتش : لاأستطيع ذلك . . ولكن اسمعينى . . .

---

(١) تقصد قصة صاحب الكرم الذى استاجر عمالا للعمل فى بستانه على فترات زمنية مختلفة من النهار نظير دينار واحد . وعند محاسبتهم ساوى بين الجميع فى الأجر ، حيث دفع للذى عمل ساعة واحدة مثل من اشتغل طول النهار معللا ذلك بالموافقة على الأجر وحريته فى التصرف فى أمواله - انظر انجيل متى ، الاصحاح ٢٠ ، المترجم .

(يسمع صوت جلاجل جياد عربة تقترب)

ماريـــا
ايفانفنا : لم يعد هناك وقت الآن .. هاهم قد وصلوا .. سأذهب للقائهم

(تتجه نحو ناصية المنزل ، كما يتجه الى هناك ستيوبا وليوبا)

فانيـــا : (يقفز عبر الدكة) : انى لا أرفض مواصلة اللعب .. سوف نكمله ياليوبا ! ها .. مارأيك ؟

ليوبـــا : (بنبره جدية) : أرجوك .. لاداعى للحماقات .
(تدخل الشرفة ألكسندرا ايفانفنا مع زوجها وليزانكا نيقلاى ايفانفتش يقطع الشرفة جيئة وذهابا وقد استغرق في تفكير عميق)

المشهد الحادى والعشرون

نيقلاى ايفانفتش ، ألكسندراايفانفنا ،بيوترسيميونفتش ليزانكا

ألكسندرا
ايفانفنا : ها .. هل أقنعتها ؟

نيقـــلاى
ايفانفتش : ألينا .. ان مايحدث بيننا أمر عظيم الشأن ولامكانللمزاح هنا .. لست أنا الذى علي أن أقنعها ، بل الحياةوالحقيقة والرب .. هذا هو الذى يقنع .. واذا كانت لاتستطيع الاقتناع اليوم ، فغدا ستقتنع ، وان لم يكن غدا ..

فبعد غد . . ان مايثير الايلام في النفس أن الوقت ضيق
لدى الجميع . . من الذى جاء الآن ؟

بيـــوتر
سيميونفتش: آل تشير مشانف . . كاتيا تشير مشانفا والتى لم أرها
منذ ثمانية عشر عاما . . آخر مرة رأيتها فيها حين كنا
نغنى معا « لاسى دارم لامانو » (يغنى)

ألكسندرا
ايفانفنا : (مخاطبة زوجها) : أرجوك ألاتقاطعنى . . لاتظن أننى
سوف أتشاجر مع نقولا . . انى أقول الصدق (مخاطبة
نيقلاى ايفانفتش) انى لاأمزح على الاطلاق ، ولكن
الغريب بالنسبة لى هو انك كنت تريد اقناع ماشا في
نفس الوقت الذى قررت هى فيه التحدث اليك .

نيقـــلاى
ايفانفتش : حسنا . . حسنا . . هاهم قادمون . . من فضلك . . قولى
لماشا انى سأكون في غرفتى . (يغادر المكان)

ســــتار

* * *

الفصل الثاني

تدور الأحداث في القرية بعد مضى أسبوع على أحداث الفصل الأول . المنظر عبارة عن صالة كبيرة وسطها مائدة عليها سانوار وتجهيزات الشاى والقهوة . عند الحائط يوجد بيانو ونوت موسيقية الى المائدة تجلس ماريا ايفانفنا ، البرنسيسة ، وبيوتر سيميونفتش .

المشهد الأول

ماريا ايفانفنا ، بيوتر سيميونفتش ، البرنسيسة

بيوتر سيميونفتش: حقا يابرنسيسة . . رغم مرور الوقت يبدو وكأنك بالأمس فقط كنت تغنين دور رازينا . . أما أنا . . فانني لم أعد الآن أصلح لغناء دور دون بازيليو . (١)

البرنسيسة : كان من المأمول فيه أن يكون أولادنا متمكنين من أصول الغناء الآن . . ولكن الزمن تغير .

بيوتر سيميونفتش: نعم ، لقد تغير تغيرا ايجابيا . . ولكن ابنتك تعزف عزفا ممتازا . . عزفا جادا .. وأين الأولاد . . هل لايزالون نائمين ؟

(١) دور رازينا ودور دون بازيليو من اوبرا « حلاق اشبيلية » ، المترجم .

ماريـــا
ايفانفنا : لقد كانوا يتريضون على ظهور الخيل بالأمس في ضوء القمر ، وعادوا الى البيت في وقت متأخر جدا . ولقد أطعمتهم ، ثم استمعت الى العزف الموسيقي معهم بعد ذلك .

بيـــوتر
سيميونفتش : ومتى يعود نصفى الآخر ؟ هل بعثت اليها ؟

ماريـــا
ايفانفنا : لقد بعثت منذ وقت مبكر وسرعان ماستصل .

البرنسيسة : وهل يعقل أن تكون ألكسندرا ايفانفنا قد ذهبت لالشيء إلا لاحضار الأب جيراسم فقط ؟

ماريـــا
ايفانفنا : نعم . . لقد واتتها هذه الفكرة بالأمـــس فأسرعت بالذهاب اليه على الفور .

البرنسيسة : كيل انرجى ا جيلا دمير (١)

بيـــوتر
سيميونفتش : أو ، بور سوسيه سيه نى باسيه كيه نومانك(٢) (يخرج سيجارا) وعلى فكرة . . سأذهب للتدخـــين والتنزه بالكلاب في الحديقة ريثما يستيقظ الشباب من النوم (يغادر المكان)

---

(١) بالفرنسية Quelle énergie! Jel' admire
وتعنى : يا لها من طاقة ! انى معجبة بها .

(٢) بالفرنسية Oh, pour ceci ce n'est pas ce qui nous manque
وتعنى : أو ـ اما فيما يتعلق بهذا ، فان هذا ليس الذى ينقصنا .

المشـــهد الثانــي

ماريا ايفانفنا ، البرنسيسة

البرنسيسة : لست أدرى ياعزيزتى ماريا ايفانفنا ، ولكن يبدو لى أنك تنظرين الى كل شيء نظرة بالغة الانفعالية . . انى أفهمه . . انها نزعة راقية سامية . . وماذا لو كان يريد أن يجود على الفقراء؟ اننا ، في الواقع ، أنانيون . . نفكر كثيرا في أنفسنا .

ماريـــا ياحبذا لو أقتصر الأمر على ذلك . . انك لاتعرفينه . .

ايفانفنا : ولاتعرفين كل شيء . . ليس هذا من باب مساعدة الفقراء ، بل هو انقلاب شامل . . انه قضاء على كل شيء .

البرنسيسة : لاأريد التدخل في شؤونكم العائلية ، ولكن اسمحى لى . . .

ماريـــا

ايفانفنا : لا . . انى أعتبرك من عائلتنا ولاسيما الآن .

البرنسيسة : أنصحك أن تقولى له بكل صراحة مطالبك كلها ، وتتفقين معه على الحدود التى . . .

ماريـــا

ايفانفنا : (بانفعال) لاتوجد حدود هنا . . انه يريد التنازل عن كل شي ء . . انه يريد أن أصبح أنا ، وبعد أن بلغت هذه السن ، طاهية وغسالة .

البرنسيسة : هذا مستحيل ! أمر غريب حقا !

ماريـــا

ايفانفنا : (تخرج لها رسالة) هانحن بمفردنا الآن وسأحكى لك

كل شيء عن طيب خاطر . لقد كتب لى بالأمس هذه الرسالة وسأتلوها عليك .

البرنسيسة : كيف هذا ؟ ! يعيش معك في بيت واحد ويتعامل معك بكتابة الرسائل ؟ ! أمر غريب حقا !

ماريـــا

ايفانفنا : ان تصرفه هذا مفهوم لى . . انه ينفعل بدرجة كبيرة حين يتكلم ولذا فانى أخشى على صحته في الآونة الأخيرة .

البرنسيسة : وماالذى كتبه لك ؟

ماريـــا

ايفانفنا : هاهو ماكتبه (تبدأ في قراءة الرسالة) « انك تلومينى على أننى أهدم الحياة السابقة ولاأقدم شيئا جديدا ، ولاأقول كيف أريد تنظيم الاسرة . حين نبدأ الحديث معا ، ننفعل ، ولذا فانى اكتب لك . أما فيما يتعلق بأننى لاأستطيع مواصلة العيش كما كنت أعيش فيما سبق ، فانى حدثتك في ذلك أكثر من مرة ، ولاأستطيع في رسالة اقناع الاخرين بانه لاينبغى العيش على هذا النحو ، بل يجب العيش على أسس مسيحية . لك أن تختارى أحد طريقين : اما أن تؤمنى بالحقيقة وتسيرين خلفى بمحض ارادتك الحرة ، واما أن تؤمنى بما أقول وتطيعينى وتسيرى ورائى من واقع الايمان بى » (تقطع القراءة) انى لاأستطيع اختيار لاهذا الطريق ولاذاك ، ولاأعتقد أنه ينبغى العيش كما يريد . . انى مشفقة على الأولاد ولاأستطيع الايمان بما يقول . (تواصل القراءة)

«ان تخطيطى هو : سنعطى كل أراضينا للفلاحين وسنبقى لأنفسنا ٥٠ ديسيتينا فقط بجانب الحديقة كلها والأرض المخصصة لزراعة الخضر والمرج الواطىء الذى تغمره مياه النهر في الفيضان . وسنحاول العمل بانفسنا وبمحض ارادتنا ، ولكنا لن نجبر أنفسنا على ذلك ولن نجبر كذلك أولادنا . ان ماسنتركه لأنفسنا يمكن أن يعود علينا بحوالى ٥٠٠ روبل»

البرنسيسة : وهل من الممكن لأسرة بها سبعة أطفال العيش بخمسمائة روبل ؟ ! هذا غير ممكن بالمرة !

ماريـــا
ايفانفنا : ان الرسالة تتضمن خطته كلها . . كيف يتم تحويل البيت الكبير الى مدرسة ، ونعيش نحن في بيت البستانى المكون من غرفتين .

البرنسيسة : لقد بدأت في الاعتقاد أنا كذلك أن هذه هى بوادر المرض . . وماذا كانت اجابتك ؟

ماريـــا
ايفانفنا : لقد قلت له : لاأستطيع هذا . . لوكنت وحدى ، كنت قد سرت وراءه حيثما ذهب ، ولكن وجود الأطفال يجعل الأمر مستحيلا . . ولك أن تتخيلى كيف أقوم بهذا وأنا لاأزال أرضع الصغير نيقولينكا . . لقد قلت له انه من غير الممكن هدم كل شيء على هذا النحو . . هل تزوجته ليصل حالنا الى هذا ؟ انى الآن ضعيفة البنية ، ومتقدمة في السن ، ولم يكن من السهل طبعا انجاب تسعة أطفال وارضاعهم .

البرنسيسة : معك حق . . لم أكن أعتقد على الاطلاق أن الأمر وصل الى هذا الحد .

ماريـــا

ايفانفنا : نعم لقد وصل الى هذا الحد ، ولاأدرى ماالذى سيحدث . . لقد أعفى بالأمس الفلاحين من قرية ديمتريفكا من الايجار المتأخر عليهم ويعتزم التنازل لهم عن الأرض كلية .

البرنسيسة : أعتقد أنه لايجب عليك السماح بذلك . . ينبغى عليك الدفاع عن أولادك . . اذا كان لايستطيع امتلاك العزبة فليعطها لك .

ماريـــا

ايفانفنا : ولكنى لاأريد هذا .

البرنسيسة : ينبغى عليك أن تفعلى هذا من أجل الأولاد . . فلينقل ملكية العزبة باسمك .

ماريـــا

ايفانفنا : لقد قالت له ساشا* ، أختى ، هذا ، فقال لها انه ليس له الحق في هذا وان الأرض ملك لمن يعمل فيها ، وانه ملزم باعطائها للفلاحين .

البرنسيسة : لقد أدركت الآن أن الأمر أكثر خطورة مما كنت أعتقد

ماريـــا

ايفانفنا : ثم القس . . القس في صفه . . .

البرنسيسة : نعم . . لقد لاحظت هذا بالأمس .

---

* ساشا : صيغة تدليل من اسم الكسندرا .

ماريـــا

ايفانفنا : وهذا هو الذى جعل أختى تسافر الى موسكو . لقد ذهبت لاستشارة المسؤولين في مكتب الشهر العقارى ، والأهم من هذا . . احضار الأب جيراسم ليقنعه بالرأى

البرنسيسة : أعتقد أن المسيحية ليست في اضاعة المرء لأسرته .

ماريـــا

ايفانفنا : ولكنه لن يقتنع بما سيقوله الأب جيراسم كذلك . . انه ثابت العقيدة ، وحين يتكلم أجد نفسى عاجزة عن معارضته . . ان المفزع حقا هو أنه يبدو لى انه على حق .

البرنسيسة : ذلك لأنك تحبينه .

ماريـــا

ايفانفنا : لاأدرى السبب ، ولكنه أمر مفزع . . مفزع حقا . . كل شيء بقى دون حل . . هاك المسيحية .

(تدخل الدادة)

المشـــهد الثالث

الشخصيات السابقة ، الدادة

الدادة : من فضلك . . نيقولينكا الصغير يناديك . . لقد استيقظ من نومه .

ماريـــا

ايفانفنا : سآتيه حالا . . انى قلقة وهذا يوثر في الرضاع ، ولذا فان معدته مضطربة . . انى آتية . . آتية .

(يدخل نيقلاى ايفانفتش من باب آخر يحمل ورقة في يده)

المشـــهد الرابـــع

ماريا ايفانفنا ، البرنسيسة ، نيقلاى ايفانفتش

نيقـــلاى
ايفانفتش : لا . . هذا مستحيل !

ماريـــا
ايفانفنا : ماذا هناك ؟ !

نيقـــلاى
ايفانفتش : سيدخل بيوتر السجن بسبب شجرة شوح من أشجارنا .

ماريـــا
ايفانفنا : كيف ؟

نيقـــلاى
ايفانفتش : هكذا ببساطة . . قطع شجرة ، فقدموه للقاضى ، فحكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر . . ولقد جاءت زوجته .

ماريـــا
ايفانفنا : وماالغريب هنا ؟ هل هذا لايجوز ؟

نيقـــلاى
ايفانفتش : لايجوز هذا الآن . . هناك أمر جائز واحد فقط هو عدم امتلاك الغابة ، وسوف أتنحى عن ملكيتها . . ولكن ماالعمل ؟ سأذهب اليه وأرى مايمكن عمله لاصلاح مافعلناه . (يتجه نحو الشرفة ويلتقى في طريقه بباريس وليوبا)

المشــهد الخــامس

الشخصيات السابقة ، باريس ، ليوبا

ليــوبا : أهلا بك يابابا (تقبله) الى أين أنت ذاهب ؟

نيقــلاى

ايفانفتش : جئت من القرية وهاأنا ذاهب الى هناك مرة أخرى . . انهم يجرجرون الآن هناك رجلا جائعا الى السجن لأنه . .

ليــوبا : تقصد بيوتر .

نقيــلاى

ايفانفتش : نعم بيوتر (يغادر المكان)

المشــهد الســادس

الشخصيات السابقة دون نيقلاى ايفانفتش

ليــوبا : (تجلس بالقرب من السانوار) : أتريد قهوة أو شايا ؟

باريــس : الأمر سيان .

ليــوبا : الأحداث نفسها تتكرر ولاأرى لها نهاية .

باريــس : انى لاأفهمه . . انى أعرف أن الشعب فقير وجاهل ، وينبغي مساعدته ، ولكن ليس عن طريق تشجيع اللصوص

ليــوبا : وكيف اذن ؟

باريــس : بكل مالدينا من نشاط . . ينبغى أن نضع كل معارفنا في خدمته ، ولكن لاينبغى أن نعطيه حياتنا .

ليــوبا : ولكن بابا يقول ان هذا ماينبغى أن نقدمه له .

باريـــس : هذا لاأفهمه . . فمن الممكن خدمة الشعب دون اهدار لحياتنا . . انى أود بناء حياتى على هذا النهج . . واذا كنت أنت . . .

ليـــوبا : انى أريد ماتريده أنت ولاأخشى شيئا .

باريـــس : وماذا عن هذا القرط وهذا الفستان ؟

ليـــوبا : من الممكن بيع القرط ، أما فيما يتعلق بالفستان ، فمن الممكن خياطة فستان آخر أقل قيمة من هذا ، ورغم ذلك لايكون المرء قبيحا وهو يرتديه .

باريـــس : انى أريد الحديث معه مرة أخرى . . ما رأيك ؟ ألن أضايقه اذا ذهبت اليه في القرية ؟

ليـــوبا : لا . . على الاطلاق . . انى أرى أنه قد أحبك ، وكان يوجه حديثه اليك أكثر من الآخرين بالأمس.

باريـــس : (يشرب ما بقى من قهوته) : اذن سأذهب اليه .

ليـــوبا : حسنا . . اذهب . . أما أنا فسأذهب لإيقاظ ليزانكا وتونيا .

(يفترق الاثنان)

ســـــتار

يتغير المنظر . شارع بالقرية . عند الدار يرقد ايفان زيابرف مغطى بمعطف من فراء الغنم

المشـــهد الأول

ايفان زيابرف وحده

ايفان (مناديا) ؟ مالاشكا ! يامالاشكا !

(تخرج من الدار صبية صغيرة تحمل طفلا صغيرا على يديها . الطفل يبكى)

المشهد الثاني

ايفان زيابرف ، مالاشكا بالطفل

ايفان : أريد ماء . . أريد أن أشرب .

(تدخل مالاشكا الدار ، ومن هناك يسمع صوت بكاء الطفل ، تحضر مغرفة ماء)

لم تضربى الصغير طول الوقت لأنه يبكى . . سأقول لأمك .

مالاشكا : حسنا . .قل لها . . انه يبكى من الجوع .

ايفان : (يشرب الماء) كان من المسكن طلب بعضا من اللبن من عند أسرة ديومكن .

مالاشكا : ذهبت اليهم ولم أجد شيئا . . كما أنه مامن أحد من الكبار هناك في الدار .

ايفان : ياحبذا لوجاءنى الموت . . هل دقوا الجرس ايذانا للغداء في الحقل ؟

مالاشكا : ياضيق الأفق ! نعم ، لقد أعلنوا عن الغداء . . هاهو الوجيه قادم .

(يدخل نيقلاى ايفانفتش)

المشهد الثالث

الشخصيات السابقة ، نيقلاى ايفانفتش

نيقــلاى
ايفانفتش : ماالذى جعلك تخرج من الدار الى هنا ؟

ايـــفان : هناك الكثير من الذباب هناك . . كما أن الجو حار بالداخل

نيقـــلاى

ايفانفتش : ها . . هل سرى الدفء في بدنك ؟

ايـــفان : أشعر وكأن نارا موقدة في جسمى كله .

نيقـــلاى

ايفانفتش : وأين بيوتر ؟ هل هو في البيت ؟

ايـــفان : وكيف يكون في البيت في مثل هذا الوقت ؟ لقد خرج الى الحقل لاحضار حزم الدريس .

نيقـــلاى

ايفانفتش : أصحيح أنه سيجن كما سمعت ؟

ايـــفان : هذا صحيح . . لقد ذهب الشرطى الى الحقل في طلبه .
(تقدم امرأة حامل ومعها حزمة من دريس الشوفان وجرافة . تضرب مالاشكا على قفاها على الفور)

المشهد الرابع

الشخصيات السابقة ، المرأة

المرأة : ماالذى جعلك تتركين الصغير يبكى هكذا ؟ انه لايكف عن البكاء . . انك لاتعرفين سوى الجرى في الشارع .

مالاشكا : (تبكى بصوت عال) لقد خرجت من الدار لتوى . . لقد طلب أبى ماء ليشرب ، ولذا خرجت من الدار .

المـــرأة : سأريك . . (ترى الوجيه) أهلا بك ياسيدى نيقلاى ايفانفتش . . لهم الله . . لقد تقطعت أنفاسى من شدة

التعب . . فعلى أن أقوم بكل شيء وحدى ، وهاهم يأخذون آخر العمال الى السجن . . وهذا الكسول نائم هنا .

نيقـــلاى

ايفانفتش : ماهذا الذى تقولينه ؟ انه مريض .

المـــرأة : انه مريض ، أما أنا فلست مريضة ؟ ماأن يتطلب الأمر العمـــــل حتى تراه مريضا ، ولكنه لايكون مريضا وقت الراحة وحين يجذبنى من ضفيرتي شعرى . . ياحبذا لونفق مثل الكلب . . ان هذا لن يضيرنى في شيء !

نيقـــلاى

ايفانفتش : كيف لاتشعرين بالذنب وأنت تقولين هذا الكلام ؟ !

المـــرأة : اعرف أنى مذنبة في هذا ، ولكنى لاأستطيع كبت نفسى . . انى ثقيلة الحركة من جراء الحمل ، وأعمل بدلا من اثنين ، ولقد جمع الآخرون الحشائش ، أما نحن ، فلم نحش ثمنين(١) بعد . . كان من الضرورى ربط حزام الحشائش ، ولكنى لم أتمكن من ذلك ، لأنه على العودة الى البيت لرعاية هذين الطفلين .

نيقـــلاى

ايفانفتش : لاعليك . . سنجد من يحش الشوفان بدلا منك ، كما سأستأجر كذلك من يربط الحزم .

المـــرأة : لاداعى لذلك . . سأتولى ربط الحزم بنفسى ، ولكن

---

(١) الثمن : مقياس مساحة . المترجم .

المهم أن ينتهي الحش بسرعة . . يبدو ، يانيقـلاى ايفانفتش ، أنه سيموت . . ان حالته بالغة السوء .

نيقـلاى

ايفانفتش : لست أدرى ، ولكن حالته سيئة حقا . . أعتقد أنه من الضرورى نقله الى المستشفى

المـرأة : ياالهى ! (تبدأ في النحيب) أرجوك ألا تنقله الى هناك . . فليمت هنا . . (مخاطبة زوجها) ماذا تريد ؟

ايـفان : أريد الذهاب الى المستشفى . . ان المعاملة هنا أسوأ من معاملة الكلاب .

المـرأة : لاأدرى ما الذى علي أن أفعله ؟ لقد فقدت عقلى تماما . . مالاشكا . . هيا أعدى الغداء .

نيقـلاى

ايفانفتش : وماذا عندكم للغداء ؟

المـرأة : كالعادة . . بطاطس وخبز . . مامن طعام غير ذلك (تتجه الى الدار . تسمع صرصرة خنزير وصياح أطفال)

المشهد الخامس

الشخصيات السابقة دون المرأة

ايـفان : (يتأوه) ياالهى ! . . ياحبذا لوجاءنى الموت ! (يدخل باريس)

المشهد السادس

الشخصيات السابقة ، باريس

باريـس : هل من خدمة أؤديها لك ؟

نيقلاى

ايفانفتش : ليس لدى المرء مايقدمه للآخرين هنا . . لقد تأصل الشر وأصبح مزمنا . . الاحرى أن يقدم المرء خدمة لنفسه ليرى مانبنى عليه سعادتنا . . هاهى أسرة أمامك . خمسة أطفال ، امرأة حامل ، وزوج مريض . . ومامن طعام سوى البطاطس . . وتواجه الأسرة الآن مصير ها . . هل ستبقى شبعى العام القادم أم لا . . وما من سبيل الى المساعدة . . وكيف يمكن مساعدتها ؟ حسنا . .سأستأجرلها عاملا يساعدها ، ولكن من هو هذا العامل الأجير؟ انه شخص لايختلف عنها في شيء . . شخص هجر داره وزراعته بسبب ادمان الخمر أو الفاقة .

باريـــس : أرجو المعذرة . . وماالذى تفعله هنا اذن ؟

نيقـــلاى

ايفانفتش : أطلع على وضعى . . أتعرف على من ينظف لنا البستان ، ومن يبنى بيوتنا ، ومن يصنع لنا ملابسنا ، ومن يطعمنا ويلبسنا .

(يقدم الفلاحون حاملين المحشات ، وتحمل النساء الجرافات . ينحنى الجميع تحية للوجيه)

المشهد السابع

الشخصيات السابقة ، الفلاحون ، الفلاحات)

نيقـــلاى

ايفانفتش : (يوقف أحدهم) يرميل . . هل تقبل العمل في حش الحشائش لهم ؟

يرميل : (يهز رأسه بالنفى) كم كنت أود ذلك من كل قلبي ،

ولكنى لاأستطيع بحال من الأحوال . . فانني لم انته من حش مايخصنى بعد ، وهانحن في طريقنا للعمل في نقل مايمكن نقله من الدريس . . وهل ايفان في النزع الأخير ؟

فلاح
آخر : فلنسأل العم سفستيان ما اذا كان يستطيع القيام بهذا العمل . . ياعم سفستيان . . هناك عرض للعمل في حش الدريس .

سفستيان : يمكنك قبول هذا العمل لنفسك . . ان اليوم الواحد في هذا الوقت من السنة كفيل باشباع المرء عاما كاملا .

(يمضى الفلاحون في طريقهم)

المشهد الثامن

الشخصيات السابقة دون الفلاحين ، والفلاحات

نيقلاى
ايفانفتش : كل هؤلاء أنصاف جوعى . . يتقوتون بالخبز والماء وحدهما . . مرضى . . كبار في السن في أغلب الأحوال . . ذلك العجوز على سبيل المثال يعانى من الفتق ، ورغم ذلك يعمل من الرابعة صباحا حتى العاشرة مساء وهو بين الحياة والموت . . ثم انظر الى حالنا نحن . . هل من الممكن بعد ادراك كل هذا أن يعيش الانسان في هدوء ويعتبر نفسه مسيحيا ؟ حسنا . . لاداعى للقول . . مسيحيا . . هل يمكن له ألا يعتبر نفسه من الوحوش ؟

باريـــس : ولكن ما العمل ؟

نيقـــلاى

ايفانفتش : العمل هو عدم المشاركة في هذا الشر . . عدم امتلاك الأرض . . عدم العيش من عرقهم . . ولكن كيف يمكن تحقيق ذلك ؟ لست أدرى . . الأمر ومافيه . . وهذا هو الذى حدث معى على كل حال . . انى كنت أعيش دون أن أدرك كيف أعيش . . لم أكن أدرك أننى ابن الرب ، ونحن جميعا أبناء الرب وأشقاء . وعندما أدركت هذا ، فهمت أن للجميع حقوقامتساوية في الحياة . . وأنقلبت حياتى كلها رأسا على عقب . . وعلى فكرة ، انى الآن لاأستطيع توضيح هذا لك ، ولكنى أقول لك أمراً واحدا فقط هو انى كنت أعمى فيما سبق ، تماما مثل أهل بيتى ، أما الآن ، فقدابصرت عيناى ، ولم أعد أستطيع عدم الرؤية . . وحين أرى . أشعر باستحالة ومواصلة العيش على هذا النحو . . حسنا . . سنواصل الحديث فيما بعد . . والآن ينبغى عمل مايمكن عمله .

(يقدم الشرطى وبيوتر وزوجته وصبى)

المشهد التاسع

الشخصيات السابقة ، الشرطى ، بيوتر ، زوجته ، الصبي

بيـــوتر : (يركع أمام نيقلاى ايفانفتش) أرجوك أن تغفر لى ذنبي . . أستحلفك الله أن تغفرلى ، والافانني هالك لامحالة . . هل تستطيع زوجتى القيامبأعباء الحياة وحدها . . ياحبذا لو أطلقوا سراحى بكفالة موقتا .

نيقـــلاى

ايفانفتش : حسنا . . سأذهب الى هناك وأقدم طلبا بذلك (مخاطبا الشرطى) أليس من الممكن اطلاق سراحه هنا الآن ؟

الشـــرطى : لقد صدر الأمر لى باحضاره الى المركز .

نيقـــلاى

ايفانفتش : اذهب . . لاتقلق بالك . . سأستأجر من يقوم بالعمل بدلا منك . . سأبذل كل مافي وسعى توآ . . كيف يمكن العيش على هذا النحو ؟ (يغادر المكان)

ســـــتار

يتغير المنظر . في العزبة

المشهد الاول

تونيا تجلس الى البيانو وقد عزفت سوناتا شومان * ، عند البيانو يقف ستيوبا . يجلس كل من ليوبا ، باريس ليزانكا ، ميترفان يرميلوفتش ، القس . يبدو على الجميع عدا باريس ، الانفعال بعد سماعهم العزف .

ليـــوبا : أندانته (١) . . ما هذه الروعة كلها !

ســـتيوبا : لا . . سكرتسو (٢) . . كل هذا وذاك رائع .

ليزانكا : رائع . . رائع .

---

(١) أندانته : قطعة موسيقية او جزء منها تعزف فى نغم بطىء الايقاع .

(٢) سكرتسو : قطعة موسيقية أو جزء منها تعزف مرحة النغم مع سرعة الايقاع .

* روبرت شومان (١٨١٠ ـ ١٨٥٦) مؤلف موسيقى المانى شهير ، المترجم .

ستيوبا : لم أكن أعتقد على الاطلاق أنك فنانة . . ان عزفك هو عزف فنانين حقيقيين . . واضح أنه لم تعد أمامك صعوبات في العزف ، وأنك لم تعدى تفكرين الا في التعبير . . وأراك تعبرين برقة الى حد الروعة .

ليوبا : هذا بجانب الأصالة طبعا .

تونيا : ورغم ذلك ، فانى أشعر أن العزف ليس بالصورة التى أريدها . . لايزال أمامى الكثير . . .

ليزانكا : وهل هناك ماهو أفضل من هذا ؟ إن عزفك رائع حقا .

ليوبا : لابأس بشومان ، ولكن شوبن* يمس أوتار القلب أكثر .

ستيوبا : لأن لديه المزيد من العاطفية .

تونيا : لاوجه للمقارنة هنا .

ليوبا : أتذكرين البريلودى التى وضعها (١)

تونيا : تقصدين هذه التى تسمى جورج زاندوفسكى (تعزف بداية اللحن)

ليوبا : ليس هذا . . ان هذا لحن رائع ولكنه مبتذل . . أرجوك أن تكملى عزف هذا . .

(تعزف تونيا ماتستطيعه ثم تقطع العزف)

لا . . هذا . . رى مينور (٢)

تونيا : آ . . تقصدين هذا اللحن . . انه لحن رائع . . ان به شيئا ماعفويا . . شيئا يوحى بما كان قبل خلق العالم .

---

(١) بريلودى : مقدمة موسيقية .

(٢) رى‌مينور : لحن حزين .

* فردريك شوبن (١٨١٠ ـ ١٨٤٨) مؤلف موسيقى بولندى شهير .

ستيوبا : (يضحك) صحيح . . صحيح . . هيا اعزفي من فضلك . . وعلى فكرة ، لاداعي لذلك ، فانك قد تعبت . . على كل حال ، لقد قضينا صباحا ممتعا بفضلك أنت .

تونيا : (تنهض وتنظر من النافذة) الفلاحون مرة أخرى .

ليوبا : وفي هذا قيمة الموسيقى . . اني أقدر حال شاول (١) حين كان يستمع الى الموسيقى . . ان أمر الروح الشرير لايحيرني ، ولكني أدرك لم كان يغادر شاول . . مامن فن يجعل المرء ينسى كل شيء مثل الموسيقى (تقترب من النافذة) ماذا تريدون ؟

الفلاحون : لقد أرسلونا الى نيقلاي ايفانفتش .

ليوبا : انه ليس هنا . . انتظروا قليلا .

تونيا : رغم حبك للموسيقى . . تتزوجين شخصا لايفهم شيئا فيها .

ليوبا : لايعقل هذا !

باريس : (بارتباك) الموسيقى . . اني أحب الموسيقى ، أو الأحرى اني لا أحبها ، ولكني أفضل شيئا أبسط منها . . أحب الأغاني .

تونيا : لا . . ولكن أليست هذه السوناتا رائعة ؟

باريس : المهم أن الموسيقى ليست هي المحك الأساسي ، ولكن

---

(١) شاول ـ ملك من ملوك بني اسرائيل ، جاء في العهد القديم أن الله اختاره ليكون ملكا ، ولكنه ارتكب بعض الخطايا ، فرفع الله عنه الملك الى بيت داود ، ومنذ ذلك الوقت استولى عليه روح جني شرير ، وكان الروح الشرير لا يغادره الا عندما كان يسمع داود وهو يعزف له على العود • سفر صموئيل ، الاصحاح ١٦ ، المترجم •

الذى يؤسفنى بعض الشيء هو الحياة التى يضفون على الموسيقى فيها أهمية كبرى .

(حلوى على المائدة والجميع يتناولونها)

ليزانكا : ليس هناك أروع من هذا . . عريس وحلوى تؤكل .

باريس : لست مذنبا في نظرتى هذه ، فالذنب ذنب ماما .

تونيـــا : وحسنا صنعت ماما .

ليـــوبا : ان قيمة الموسيقى تكمن في أنها تسيطر على السامع وتسلب لبه ، وتخرج به من الواقع . . انظرى كيف كان الجو عابسا ، ثم عزفت لنا الموسيقى فجأة ، فأشرقت النفوس . . حقا . . لقد أشرقت النفوس .

ليزانكا : رغم أننا مللنا سماع فالسات شوبان ، الا أنه . . .

تونيـــا : تقصدين هذا . . (تبدأ في العزف)

(يدخل نيقلاى ايفانفتش ويحيى تونيا وستيوبا وليزانكا وميترفان برميلوفتش والقس .

المشـــهد الثانــي

الشخصيات السابقة ، نيقلاى ايفانفتش

نيقـــلاى
ايفانفتش : أين ماما ؟

ليـــوبا : يبدو أنها في حجرة الاطفال!.

(ستيوبا يستدعى الخادم)

ليـــوبا : بابا . . ان عزف تونيا على البيانو رائع . . وأين كنت ؟

نيقــلاى
ايفانفتش : في القرية .

(يدخل الخادم)

المشــهد الثالث

الشخصيات السابقة ، الخادم .

ســتيوبا : أحضر سانوارا آخر .

نيقــلاى
ايفانفتش : (يمد يده للخادم ويصافحه) أهلا بك .

(يشعر الخادم بالحرج ويغادر المكان ، كما يغادره نيقلاى ايفانفتش كذلك)

المشــهد الرابــع

الشخصيات السابقة دون الخادم ونيقلاى ايفانفتش

ستيوبا : يالتعاسة أفاناسى ! لقد شعر بخجل لامثيل له . .لاأستطيع فهم شيء . . كأننا أذنبنا في أمرما .

المشــهد الخــامس

الشخصيات السابقة ، نيقلاى ايفانفتش

نيقــلاى
ايفانفتش : (يعود الى الغرفة) كنت أنوى الذهاب الى غرفة دون أن أعبر لكم عما أشعر به . . وأعتقد أن مثل هذا التصرف تصرف غير سليم ، ولذا عدت اليكم . (مخاطبا تونيا) واذا كانت كلماتى ستحمل اهانة لك

ياضيفتنا العزيزة ، فأرجو معذرتى ، لأننى لاأستطيع الا أتحدث في هذا الموضوع . . تقولين ياليوبا ان البرنسيسة الصغيرة تجيد العزف . . حسنا . . هاأنتم هنا سبعة أو ثمانية أشخاص من الشبان والفتيان الأصحاء . . قد نمتم حتى الساعة العاشرة ، ثم شربتم وأكلتم ، ثم هاأنتم تأكلون المزيد وتعزفون الموسيقى وتتناقشون فيها ، أما هناك ، ومن حيث جئت الآن أنا وباريس ألكسندر فتش ، فقد استيقظ الجميع في الثالثة صباحا ، بل وهناك من لم يذق للنوم طعما بالمرة . . هناك العجائز والمرضى والضعفاء والأطفال والنساء بأطفالهن الرضع ، والحوامل . . يعملون بكل ماأوتوا من قوة كى نعيش نحن من ثمار كدحهم . . والأكثر من هذا . . انهم يأخذون الآن أحدهم . . وهو العامل الوحيد والأخير في احدى الأسر . . يأخذونه إلى السجن لأنه قطع فيما يسمى بغابتى شجرة شوح من بين المائة ألف شجرة التى تنمو هناك . . وهانحن هنا ننعم بالنظافة ، وحسن الملبس ، ونترك أقذارنا في غرف النوم لينظفها العبيد من بعدنا . . نأكل ونشرب ونتجادل حول شومان . . وشوبن ، الذى يمس شغاف قلوبنا أكثر من أى شىء هذا بجانب أن موسيقاه تبدد الملل لدينا . . . كنت أفكر في هذا حين كنت أمر بجانبكم ، ولذا تحتم على أن أقوله لكم . . ولكم أن تفكروا الآن . . هل الحياة على هذا النحو ممكنة ؟" (يقف منفعلا)

ليزانكا : هذا صحيح . . صحيح .

ليــوبا : اذا كنا سنفكر على هذا النحو ، فيستحيل العيش .

ســتيوبا : ولم ؟ انى أرى أنه لايستحيل الحديث عن شومان اذا كان الناس فقراء . . ان هذا غير مرتبط بذاك . . اذا كان للناس . . .

نيقــلاى

ايفانفتش : (محتدا) اذا لم يكن لدى الانسان قلب . . اذا كان قلبه قد من حديد . . .

ستيوبا : حسنا . . حسنا . . سألتزم الصمت .

تونيــا : انها مشكلة رهيبة . . مشكلة عصرنا هذه ، ولاينبغى الخوف منها ، بل يجب النظر بعين واعية الى الواقع لحلها .

نيقــلاى

ايفانفتش : ليس هناك متسع من الوقت لانتظار حل المشكلــة بالاجراءات المشتركة . . ان كلا منا ، ان لم يكن الآن ، سيموت غدا . . اذن كيف يمكن العيش دون الاحساس بالمعاناة من عدم التناسق الروحى في نفس الانسان ؟

باريــس : هناك ، بالطبع ، وسيلة واحدة . . هى الاحجام عن المشاركة فيما نراه غيز صحيح .

نيقــلاى

ايفانفتش : حسنا . . أرجو المعذرة ان كنت قد أغضبتكم . . لم أستطع عدم الافصاح عما أشعر به (يغادر المكان)

المشـــهد الســـادس

الشخصيات السابقة دون نيقلاى ايفانفتش

ستيوبا : كيف يمكن عدم المشاركة؟ ان حياتنا كلها مرتبطة فيما بيننا .

باريـــس : ولهذا السبب يقول أنه ينبغى أولا وقبل كل شيء ألا يمتلك الانسان شيئا ، وأن يغير حياته كلها ، وألا يعيش بحيث يخدمه الآخرون ، بل يعيش ليخدم هو الآخرين

تونيـــا : أرى أنك قد أصبحت في صف نيقلاى ايفانفتش تماما .

باريـــس : هذا صحيح . . لقد أدركت جوهر الأمر لأول مرة ، ثم رأيت مارأيته في القرية . . لاينبغى علينا الا أن نخلع النظارة التى ننظر من خلالها الى حياة الشعب ، وأن ندرك الصلة بين معاناته وبين مباهجنا . . وقضى الأمر .

ميترافان

يرميلوفتش: ولكن ليست الوسيلة الوحيدة لتحقيق ذلك هى أن يهدر الانسان حياته .

ستيوبا : أمر عجيب أن نكون أنا وميترافان يرميلوفتش على طرفي نقيض ، ثم تلتقى أفكارنا هنا . . ان القول بعدم ضرورة إهدار المرء لحياته . . هذه هى كلماتى التى أقولها دائما .

باريـــس : أمر مفهوم . . ان كلا منكما يريد العيش عيشة هانئة ، ولذا يرغب في تنظيم الحياة بالشكل الذى يضمن له الهناء . . انك (مخاطبا ستيوبا) تريد الابقاء على الشكل

الحالى ، أما ميترافان يرميلوفتش ، فيريد شكلا جديدا للحياة .

(تتهامس ليوبا مع تونيا وتتجه تونيا نحو البيانو ، ثم تبدأ في عزف نوكتورن شوبن (١) ينصت الجميع في صمت)

ستيوبا : هذا رائع بكل المعايير . . ان هذا كفيل بحل كل شيء

باريس : ان هذا كفيل بتعتيم كل شيء وارجاء الحل .

(أثناء العزف تدخل في هدوء ماريا ايفانفنا والبرنسيسة وتجلسان لسماع الموسيقى . يسمع صوت جلاجل جواد عربة قبل انتهاء النوكتورن)

المشهد السابع

الشخصيات السابقة ، ماريا ايفانفنا ، البرنسيسة

ليوبا : انها خالتي (تسرع لملاقاتها ، ثم تتبعها ماريا ايفانفنا كذلك يستمر العزف . تدخل ألكسندرا ايفانفنا والأب جيراسم — وهو قس يحمل صليبا على صدره ، ويدخل كذلك موثق الشهر العقارى . يقف الجميع .

المشهد الثامن

الشخصيات السابقة ، ألكسندرا ايفانفنا ، الأب جيراسم ، الموثق

الأب جيراسم: أرجو مواصلة العزف . . ان النفس تطيب لسماع الموسيقى .

---

(١) نوكتورن : قطعة موسيقية عاطفية ، المترجم .

(تقترب البرنسيسة ليباركها الأب ، وكذلك يفعل القس

ألكسندرا

ايفانفنا : قلت لنفسي سأفعل شيئا ما ، وهاأنا أوفي بما عاهدت . . لقد وجدت الأب جيراسم وأقنعته بأن يعرج عليكم وهو في طريقه الى كورسك*.. وهكذا قمت بواجبي .. وهاهو الموثق . . ولديه كل الأوراق جاهزة ، بحيث لايتطلب الأمر أكثر من التوقيع عليها .

ماريسا

ايفانفنا : ألا تودون الافطار ؟

(يضع الموثق الأوراق على المائدة ويغادر المكان)

المشهد التاسع

الشخصيات السابقة دون الموثق

ماريسا

ايفانفنا : انى في غاية الامتنان للأب جيراسم .

جيراسم : ماالعمل . . رغم أن هذه الزيارة لم تكن في طريقى ، الا أننى رأيت أن من واجبي القيام بها كما تقضى الروح المسيحية

(ألكسندرا ايفانفنا تهمس بشيء للشباب . يتبادل الشباب الكلام فيما بينهم ثم يغادرون المكان الى الشرفة ماعدا باريس . يهم القس بمغادرة المكان كذلك)

---

* كورسك : مدينة على بعد حوالى ٨٠٠ كيلو متر جنوب موسكو

المشهد العاشر

ماريا ايفانفنا ، ألكسندرا ايفانفنا ، البرنسيسة ، الأب
جيراسم القس ، باريس

جيراسم : (مخاطبا القس) لاعليك . . يمكنك البقاء . . فانك كراع الكنيسة وكأب روحى يمكنك أن تستفيد وتفيد . . أرجوك أن تبقى اذا كانت ماريا ايفانفنا لاتمانع .

ماريـــا
ايفانفنا : ليس لدى مانع .. انى أحب الأب فاسيلى كما لو كان أحد أفراد أسرتنا . ولقد تشاورت معه ، ولكنه قليل التأثير لحداثة سنه

جيراسم : طبعا . . طبعا . . لاريب في هذا .

ألكسندرا
ايفانفنا : (تقترب من الأب) وهكذا ياأبتى جيراسم . . أنك الوحيد الذى يستطيع المساعدة والارشاد الى طريق العقل . . انه رجل ذكى واسع العلم والمعرفة ، ولكنك تدرك أن سعة العلم ليس منها الا الضرر . . انه أصيب بغشاوة . . يزعم أن القوانين المسيحية تقضى بالا يمتلك الانسان شيئا . . هل هذا يعقل ؟

جيراسم : انها الغواية وتعالى العقل . . انه ركوب الهوى . . لقد أوضح آباء الكنيسة الموضوع بما فيه الكفاية . . ولكن كيف حدث كل هذا ؟

ماريـــا
ايفانفنا : اذا كنت تريد أن أحكى لك كل شيء ، فانى أقول . .

أنه حين تزوجنا كان يشعر بعدم المبالاة بالدين ، وكنا نعيش عيشة رائعة . . كانت أفضل سنوات العمر . . العشرون عاما الأولى . وبعد ذلك بدأ يعمل التفكير . . من المحتمل أن يكون موت أخته قد أثر فيه ، أوالقراءة هى التى اودت به الى هذا الحال . . المهم بدأ يفكر ، ويقرأ الانجيل ، وأصبح عندئذ شديد التدين فجأة ، وأخذ يتردد على الكنيسة ويذهب للقاء الرهبان ، ثم فجأة هجر كل هذا ، وغير حياته تغييرا شاملا . . فبدأ يعمل بيده ، ولايسمح لأحد من الخدم بخدمته ، والأهم من كل هذا أنه يوزع العزبة الآن . . لقد تبرع بالأمس بالغابة وبالأرض المقامة عليها . . انى أشعر بالخوف . . لدي ستة أولاد . . أرجوك أن تتحدث معه . . سأذهب وأسأله ماذا كان يريد رؤيتك أم لا .

(تغادر المكان)

المشهد الحادى عشر

الشخصيات السابقة دون ماريا ايفانفنا

جيراسم : هناك الكثير من حالات الارتداد عن الكنيسة الآن . . ولكن هل الأملاك ملكه هوأم ملك زوجته ؟

البرنسيسة : ملكه هو . . وهنا المصيبة .

جيراسم : ومالقبه ؟ (١)

البرنسيسة : ليس من الألقاب العليا . . يبدو أنه كابتن خيالة . . لقد كان من العسكريين .

---

(١) يقصد اللقب الذى يحمله كثرى من فئة النبلاء ، المترجم

جيراسم : الكثير ينحرفون على هذا النحو . . لقد كانت هناك سيدة في مدينة أوديسا هوت تحضير الأرواح ، وبدأت تأتى بالكثير من الضرر ، ورغم ذلك أعاننا الرب في عودتها الى الكنيسة .

البرنسيسة : المهم هنا . . وأرجوك أن تفهمنى جيدا . . ان إبنى يريد الزواج من إبنتهم ، ولقد وافقت على ذلك . . ولكن إبنتهم تعودت على الترف ، ولذا ينبغى أن يكون لديها مايسد حاجتها كيلا تكون عبئا على أكتاف ابنى . . إنه ، على كل حال ، يحب العمل ، فضلا عن أنه شاب ممتاز .

تدخل ماريا ايفانفنا ونيقلاى ايفانفتش

المشهد الثانى عشر

الشخصيات السابقة ، ماريا ايفانفنا ، نيقلاى ايفانفتش

نيقلاى ايفانفتش : أهلا بك يابرنسيسة (مخاطبا الأب) مرحبا . . ماإسمك واسم والدك (١)

جيراسم : الا ترغب في أن أباركك ؟

نيقلاى ايفانفتش : لا . . لاأرغب .

جيراسم : إسمى جيراسم فيودرف . . إنى سعيد جدا بلقائك .

(يحضر الخادم افطارا وخمرا)

---

(١) صيغة التخاطب والتعارف هى ذكر اسم الشخص واسم والده ، المترجم .

الطقس اليوم ممتع . . كما انه ملائم لجمع محصول القمح .

نيقـــلاى

ايفانفتش : أعتقد أنك جئت بدعوة من ألكسندرا ايفانفنا كى تخرج بى من الضلال الذى أنا فيه ، وترشدنى الى طريق الصواب . . اذا كان الأمر كذلك ، فلا داعى للف والدوران ، ولندخل في الموضوع مباشرة . . انى لا أنكر أننى لا أتفق مع تعاليم الكنيسة . . كنت متفقا معها فيما سبق ، ثم لم أعد كذلك . . وأريد بكل جوارحى أن أقف على الحقيقة ، وسأتقبلها على الفور لو أريتنى اياها

جيراسم : كيف تقول أنك لا تؤمن بتعاليم الكنيسة ؟ اذن ما الذى يؤمن به الانسان ان لم يكن يؤمن بتعاليم الكنيسة ؟

نيقـــلاى

ايفانفتش : يؤمن بالله وبقانونه الذى وهبنا اياه في الانجيل .

جيراسم : والكنيسة لاتعلم الا هذا القانون .

نيقـــلاى

ايفانفتش : لو كانت تعلم هذا القانون حقا ، كنت قد آمنت بها ، ولكنها تعلم النقيض .

جيراسم : لايمكن للكنيسة أن تعلم النقيض لأنها مؤيدة من الرب نفسه . . يقول الانجيل . . « هذه كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . »

نيقـــلاى

ايفانفتش : لم تجىء هذه الكلمات في مثل هذه المناسبة . . واذا كنا سنعترف بان المسيح أنشأ الكنيسة . . فما الذى يدعونى الى معرفة أن المقصود بهذه الكنيسة كنيستكم ؟

جيراسم : لأن الانجيل يقول . . «حيث اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي . . . »

نيقـــلاى

ايفانفتش : لم تجىء هذه الكلمات في مثل هذه المناسبة ، ثم انها لاتثبت شيئا .

جيراسم : كيف يمكن للمرء أن ينكر الكنيسة ؟ انها الوحيدة التى تظللها ارادة الرب .

نيقـــلاى

ايفانفتش : لم أكن أنكر الكنيسة حتى اقتنعت أنها تؤيد كل ماهو مناقض للمسيحية .

جيراسم : الكنيسة لايمكن أن تخطىء لأن فيها وحدها الحقيقة . . ان الذى يبتعد عنها هو الذى يضل . . أما الكنيسة . . فمقدسة .

نيقـــلاى

ايفانفتش : سبق ان قلت لك لاأعترف بهذا . . لاأعترف لأن الأنجيل يقول . . « من أعمالهم تعرفونهم ،من ثمارهم تعرفونهم » لقد أدركت أن الكنيسة تبارك القسم والقتل والاعدام .

جيراسم : ان الكنيسة تعترف بالأحكام التى أقرها الرب وتباركها (أثناء الحديث يدخل في هدوء ستيوبا وليوبا وليزانكا وتونيا وباريس وألكسندرا ايفانفنا . يجلس البعض ويقف البعض الآخر وفق مايسمح به المكان . يستمع الجميع للحديث)

نيقـــلاى

ايفانفتش : انى أعرف أن الأنجيل يقول . . لاتقتل . . والاكثر

من ذلك . . لاتغضب . . ولكن الكنيسة تبارك الجيوش
. . ويقول الانجيل كذلك . . لاتقسم . . ولكن الكنيسة
تطلب القسم ، ثم يقول كذلك . . .

جيراسم : ولكن اسمح لى . . حين قال بيلاطس (١) « استحلفك
بالله الحى »
فاعترف المسيح بهذا القسم وقال « أنا هو »

نيقـــلاى

ايفانفتش : هه . . ماهذا القول ؟ ! انه أمر مضحك حقا.(٢)

جيراسم : وهذا هو السبب الذى يجعل الكنيسة لاتبارك كل شخص
يفسر الانجيل كيلا يقع في الضلالة . . ان الكنيسة كالأم
تماما . . ترى أبناءها وتقدم لهم التفسير وفق قدراتهم . .
لا . . اسمح لى أن اكمل حديثى . . ان الكنيسة لاتحمل
أبناءها أعباء يعجزون عن حملها ولكنها تطالبهم باتباع
الوصايا : حب ، لاتقتل ، لاتسرق ، لاتزن .

نيقـــلاى

ايفانفتش : نعم . . لاتقتلنى ، ولاتسرق ماهو مسروق أســاسـا
وأصبح ملكا لى . . لقد سرقنا جميعا الشعب . . لقد
سرقناه الأرض ثم وضعنا بعد ذلك القانون . . القانون
كيلا يسرق أحد . . والكنيسة تبارك ذلك .

---

(١) بيلاطس البنطى : عينته الدولة الرومانية واليا على قيصريـــة عـــام ٢٩ ميلادية ، وهو الذى سلم السيد المسيح لليهود ليصلبوه رغـــم اقتناعـــه ببراءته • انجيل يوحنا ، الاصحاح ١٩ ، المترجم

(٢) يستهزىء نيقلاى ايفانفتش بقول الاب جيراسم ذلك لان رئيس الكهنة هـو الذى سال السيد المسيح ، وليس بيلاطس ، حين قال له : « استحلفك بالله الحى ان تقول لنا هل انت المسيح ابن الله • قال له يسوع انت قلت » • انجيل متى ، الاصحاح ٢٧ ، المترجم

جير اسم : انها الغواية وتعالى العقل . . انهما اللذان يتحدثان فيك . .
ينبغى إخضاع عقلك المتعالى هذا .

نيقــلاى

ايفانفتش : ليس هذا بيت القصيد . . انى أسألك كيف ينبغى لى وفق القانون المسيحي التصرف بعد ادراكى لذنبى في سرقة الناس واستعبادهم في الأرض ؟ كيف لى أن أتصرف . . هل أستمر في إمتلاك الأرض واستغل عرق الجوعى وانفاق ثمار هذا العرق في هذا ؟ (يشير إلى ماحمله الخادم من افطار وخمر) أم ارجاع الأرض لمن سرقها أسلافى منهم ؟

جيراسم : ينبغى عليك التصرف كما يتصرف ابن الكنيسة . . ان لديك أسر وأولاد ، ولذا يجب رعايتهم وتربيتهم حسبما يتطلب مقامهم .

نيقــلاى

ايفانفتش : ولماذا ؟

جيراسم : لأن الرب وضعك في هذه المنزلة . . واذا كنت تريد فعل الخير ، فافعله بتوزيع جزء مما تملك ، كما يمكنك التردد على الفقراء لزيارتهم .

نيقــلاى

ايفانفتش : ولكن كيف اذن يقول الانجيل للشباب الغنى انه يستحيل على الغنى دخول ملكوت السماوات ؟

جيراسم : يقول الانجيل . . اذا كنت تريد أن تكون كاملا .

نيقــلاى

ايفانفتش : نعم . . انى أريد أن أكون كاملا . يقول الانجيل . .

« كونوا كاملين كما أن أباكم الذى في السموات هو كامل »

جيراسم : ولكن ينبغى كذلك فهم مناسبة هذا القول .

نيقـــلاى

ايفانفتش : وأنا أحاول الفهم . . ان كل ماجاء في موعظة الجبل سهل ومفهوم .

جيراسم : انه تعالى العقل .

نيقـــلاى

ايفانفتش : أى تعال هنا اذا كان قد قيل أن ماهو خاف عن الحكماء مكشوف للصغار .

جيراسم : مكشوف للمتواضعين لاللمتكبرين .

نيقـــلاى

ايفانفتش : من هو المتكبر ؟ ! هل هو أنا الذى أعتبر نفسى إنسانا مثل الجميع ، والذى يرى ضرورة العيش مثل جميع الناس من عرقه وفي مستوى من الحاجة مثلما كل أخوته ، أو أولئك الذين يعتبرون أنفسهم أناســا متميزين مقدسين ، يعرفون الحقيقة كلها ولايمكن لهم أن يضلوا ، ويفسرون كلمات المسيح وفق هواهم ؟

جيراسم : (وقد بدا عليه الزعل) أرجو المعذر يانيقلاى ايفانفتش . . لم أجىء للمحاسبة معك فيمن هو على حق أو لسماع موعظة ، ولكنى عرجت عليكم بطلب من ألكسندرا ايفانفنا للحديث معك . . انك تعلم كل شىء أفضل منى ، ولذا فمن الأفضل قطع الحديث . . ولكنى أرجوك لآخر مرة باسم الرب . . ثب الى رشدك ، فانك قد استسلمت لضلال مبين ، وانك مهلك نفسك .

(ينهض)

ماريـــا

ايفانفنا : ألا تودون تناول شيء ؟

جيراسم : شكرا لك . (يغادر المكان هو وألكسندرا ايفانفنا)

المشهد الثالث عشر

ماريا ايفانفنا ، البرنسيسة ، نيقلاى ايفانفتش ، القس ، باريس

ماريـــا

ايفانفنا : (مخاطبة القس) وماذا بعد ؟

القـــس : لابأس . . في رأيى أن نيقلاى ايفانفتش كان يقول الحق ، ولم يقدم الأب جيراسم أية حجج في مواجهته .

البرنسيسة : لم يتح له نيقلاى ايفانفتش الفرصة للكلام ، والأهم من ذلك أنه لم يعجبه أن يصبح الأمر كالمناظرة بين اثنين والجميع جالسون يستمعون ، ولذلك ارتأى الذهاب بسبب تواضعه .

باريـــس : ليس هناك تواضع بالمرة هنا ، ولكن كل ماقاله كان كلاما باطلا . . يبدو أنه لم يكن لديه مايقوله .

البرنسيسة : حقا . . انى أرى ، وبكل ماعرف عنك من خفة وعدم ثبات دائما ، أنك قد بدأت الآن تتفق مع نيقلاى ايفانفتش في كل شيء . اذا كنت تفكر على هذا النحو فلا ينبغى لك الزواج .

باريس : انى لاأقول أكثر من أن ماهو حقيقة فهو حقيقة ، ولاأستطيع السكوت عن الكلام .

البرنسيسة : ولكن ليس لك أن تقول هذا الكلام بحال من الأحوال .

باريـــس : ولم ؟

البرنسيسة : لأنك فقير وليس لديك ماتعطيه . وعلى فكرة ، ليس هذا شأننا(تغادر المكان ومن ورائها الجميع عدا نيقلاى ايفانفتش و ماريا ايفانفنا)

المشهد الرابع عشر

نيقلاى ايفانفتش ، ماريا ايفانفنا

نيقـــلاى
ايفانفتش : (يجلس مستغرقا في التفكير ، ثم يبتسم لما ورد في فكره) ماشا . . لم كل هذا ؟ لم دعوت هذا الرجل البائس الضال ؟ لم تشركى هذه المرأة الضجوجة وهذا القس في حياتنا شديدة الخصوصية ؟ هل لا نستطيع نحن حل كل مشاكلنا بأنفسنا ؟

ماريـــا
ايفانفنا : وما عساي أن أفعل اذا كنت تريد ترك الأولاد دون شيء ؟ اني لا أستطيع تحمل هذا بهدوء . انك تعلم تمام العلم أننى لاأبغى شيئا ولاأريد شيئا لنفسى .

نيقـــلاى
ايفانفتش : أعرف هذا . . اعرفه جيدا ، وأصدق ماتقولين ، ولكن المشكلة أنك لاتؤمنين بالحقيقة . . رغم أننى أعرف أنك ترينها ، ولكنك لاتعقدين العزم على الايمان بها . . أقول انك لاتؤمنين بالحقيقة ولاتؤمنين بما أقول . . انك تؤمنين بكل هؤلاء الناس . . بالبرنسيسة وغيرها .

ماريـــا

ايفانفنا : إني مؤمنة بك ، كما كنت أؤمن بك دائما ، ولكنك حين تريد للأولاد أن يمدوا أيديهم للاخرين . . . .

نيقـــلاى

ايفانفتش : هذا هو الذى يؤكد أنك لاتؤمنين بى . . هل تعتقدين أنى لم أدخل في صراع مع نفسى ولم أشعر بالخوف ؟ ولكنى بعدذلك اقتنعت بأن هذا ممكن ، بل وضرورى ، وأن هذا وحده هو الضرورى والنافع للأولاد . . انك تقولين انه لو لم يكن لدينا أولاد لكنت قد اتبعتينى ، وأنا أقول لك انه لو لم يكن هناك أولاد لكنا عشنا كما نعيش ومن ثم كنا ضيعنا أنفسنا فقط ، أما ومع وجود الأولاد ، فاننا نضيعهم معنا كذلك .

ماريـــا

ايفانفنا : وماذا على أن أفعل اذا كنت لاأفهم هذا ؟

نيقـــلاى

ايفانفتش : وماذا على أن أفعل أنا كذلك ؟ انى أعرف طبعا لمطلبتم حضور هذا الانسان البائس ذى الصليب والمتشح بهذه الغفـــارة ، ولم أحضـــرت ألينـــا مـــوثق الشـــهر العقارى . . انكم تريدون أن أكتب العزبة باسمك . . لاأستطيع هذا . . انك تعلمين تمام العلم أننى أحبك طوال عشرين عاما من حياتنا معا . . انى أحبك وأريد

لك الخير ولذلك لاأستطيع التوقيع على نقل الملكية باسمك . . واذا كان علي التوقيع بذلك ، فيجب أن يكون ذلك لصالح من انتزعت منهم . . أقصد الفلاحين . . ولكني لاأستطيع التوقيع على ماتريدون . . ينبغي علي أن أرد لهم أملاكهم ، واني سعيد لحضور الموثق وسأتخذ هذه الخطوة .

ماريـــا

ايفانفنا : لا . . هذا فظيع ! لم كل هذه القسوة ؟ اذا كنت ترى في الملكية ذنبا ، فانقلها باسمي . (تبكي)

نيقـــلاى

ايفانفتش : انك لاتدرين ماذا تقولين . . اذا كنت سأنقلها باسمك فانني لن أستطيع البقاء للعيش معك ، ولذا علي أن أرحل . . اني لاأستطيع الاستمرار في العيش في هذه الظروف . . اني لاأستطيع أن أرى بعيني كيف يمتصون دماء الفلاحين ويزجوا بهم في السجون لا من عزبتي فحسب ، بل ومن عزبتك كذلك وبعد أن تصبح ملكا لك . . عليك أن تختاري الآن .

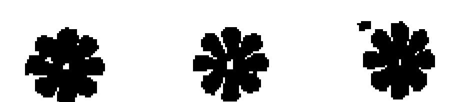
ماريـــا

ايفانفنا : يالك من قاس ! أية مسيحية هنا ؟ انها شراسة . . انني لاأستطيع بحال من الأحوال العيش كما تريد ، ولاأستطيع انتزاع مالدى أولادى واعطاءه للاخرين . . ولهذا تريد أن تهجرني . . هيا أهجرني . . أرى أنك لم تعد تحبني وأعرف السبب في ذلك .

نيقـــلاى

ايفانفتش : حسنا . . سأنقل الملكية باسمك . . ولكنك ياماشا تطلبين
منى المستحيل (يقترب من المائدة ويوقع الأوراق)
كنت تريدين ذلك . . انى لاأستطيع العيش على هذا
النحو (يغادر المكان جريا وهو ممسك برأسه)

ســـــتار



الفصل الثالث

تجرى أحداث الفصل في موسكو . غرفة كبيرة بها نضد نجارة ، مكتب عليه أوراق ، صوان كتب ، مرآة ، لوحة زيتية . الغرفة مليئة بالألواح الخشبية .

المشهد الاول

نيقلاى ايفانفتش يرتدى مئزر عمال ويقف الى النضد يسحج الخشب ، نجار موبيليات

نيقلاى ايفانفتش : (يخرج لوحا خشبيا) هامارأيك ؟ هل هكذا حسن ؟

النجار : (يضبط المسحج) أليس الأمر مؤلما بالنسبة لك . . عليك أن تعمل بقوة أكثر . . انظر هكذا .

نيقلاى ايفانفتش : ياحبذا لو كان الأمر متوقفا على القوة وحدها ، ولكن الأمور لاتسير سيرها الحسن .

النجار : ولكن عندى سؤال . . ماحاجة ، سعادتكم ، لتعلم نجارة الموبيليات ؟ ان النجارين من أمثالنا عددهم لايحصى ، وكل منهم يزاحم الآخر في العيش .

نيقلاى ايفانفتش : (يعمل من جديد) ضميرى يوخزنى لأننى أعيش دون عمل .

النـــجار : انه نصيبك من الحياة . . فقد أعطاك الله عزبة .

نيقـــلاى

ايفانفتش : هذا هو صلب الموضوع ، اذ أننى أرى أن الله لم يعطني شيئا ، ولكن الناس من قبلى هم الذين أخذوها بأنفسهم . . اغتصبوها من إخوانهم .

النـــجار : (بدهشة) هذا مجرد كلام . . ومع ذلك فانك لست بحاجة الى هذه المهنة .

نيقـــلاى

ايفانفتش : انى أدرك أن الأمر غريب بالنسبة لك . . غريب أن ترانى في هذا البيت الذى يفيض بالخيرات . . أريد العمل بعرقى .

النـــجار : (يضحك) بصفة عامة ليست أحوال السادة مثيرة للعجب ، ذلك لأنهم يريدون معرفة كل شيء . . والآن ستسحج طبقة بالمسحج الخشن .

نيقـــلاى

ايفانفتش : لن تصدق . . وسوف تضحك من كلامى . . ورغم ذلك أقول لك انى كنت أعيش فيما سبق دون أن أشعر بالخجل من نفسى ، أما الآن فقد آمنت بتعاليم المسيح بأن كلنا أخوة ، وأصبحت أشعر بالخجل من عيشتى على هذا النحو .

النـــجار : طالما تشعر بالخجل . . وزع كل ماتملك على الناس .

نيقـــلاى :

أيفانفتش : كنت أريد ذلك ، ولكننى لم أنجح ، فنقلت الملكية باسم زوجتى .

النجار : يستحيل بالنسبة لكم كسادة ، القيام بهذا . . لقدتعودتم على وجود الثروة .

(صوت من وراء الباب : بابا . . هل يمكن الدخول ؟)

نيقلاى

ايفانفتش : ممكن . . ممكن . . من الممكن الدخول دائما .

المشهد الثانى

الشخصيات السابقة ، ليوبا

ليوبا : (تدخل) أهلا بك ياباكف !

النجار : أهلا بك ياآنسة !

ليوبا : لقد ذهب باريس الى الفوج العسكرى . وأخشى أن يفعل أو يقول هناك مالاتحمد عقباه . . فما الذى تراه ؟

نيقلاى

ايفانفتش : وماالذى يمكننى أن أراه هنا ؟ انه سيفعل مايمليه عليه ضميره .

ليوبا : هذا فظيع ! لم يبق أمامه سوى القليل وقديضيع نفسه فجأة

نيقلاى

ايفانفتش : حسنا مافعل بأنه لم يعرج علي قبل الذهاب الى هناك . . فانه يعرف أننى لاأستطيع أن أقول له شيئا غير مايعرفه هو . . لقد قال لى ان هذا هو الذى جعله يرفض أداء الخدمة العسكرية لأنه يدرك أنه مامن نشاط وحشى وشرس وغير مشروع مثل ذلك الرامى الى القتل وحده ، بل وليس هناك نشاطا أكثر اذلالا للمرء وأكثر خسة

منه ، حيث ضرورة الطاعة العمياء في كل شيء ولكل رتبة أعلى يلقاها المرء . . انه يعرف كل هذا .

ليــوبا ان ما يخيفني أنه يعرف كل هذا ، ولذلك قد يأتي بتصرف وخيم العواقب .

نيقــلاى

ايفانفتش : ان هذا ما سيقرره ضميره . . أى الرب الذى في داخله وإذا كان قد جاءني ، لكنت قد أوصيته بأمر واحد فقط هو ألا يفعل شيئاً وفق ما يقضى به الاستدلال العقلى ، ولكن ينبغى له أن يفعل ما يطلبه منه كيانه كله . . فما من شيء أسوأ من اغفال ما يتطلبه كيان الانسان . . ها أنا كنت أريد التصرف كما يأمرنــــا المسيح . . كنت أريد ترك الأهل والزوجة والأولاد والذهاب خلفه . . وكنت على وشك القيام بذلك ، ولكن ماذا كانت النهاية ؟ انتهى الأمر بأن عدت . . وها أنا أعيش معكم في المدينة في ترف . . كنت أريد أن أفعل ما هو فوق الطاقة . . والنتيجة وضعى المهين العديم المعنى هذا . . اني أريد العيش ببساطة . . أريد العمل بيدى ، ولكن مــع وجود الخــدم والبوابين لا يمكن أن أوصف الا بالتظاهر وأنا في هذا الموقف . . وها هو ياكف نيكانوفتش يضحك على الآن . . .

النجــار : وما الذى يدعو إلى الضحك ؟ انك تدفع لى أجراً ، وتقدم لى الشاى . اني شاكر لك كل هذا .

ليــوبا : اعتقد أن الأمر يقتضى الذهاب إليه .

نيقـــلاى
ايفانفتش : يا عزيزتي . . يا حبيبتى . . اني أعرف أنك منقبضة النفس ويسيطر القلق عليك ، رغم أنه لا حاجة لهذا القلق . . لا تنس أننى انسان فهمت الحياة . . ومـــا من شيء سيء يمكن أن يحدث . . ان كل شىء يبدو سيئاً يشرح الصدر ، ولكن عليك أن تفهمى أمـــراً واحداً هو أن الإنسان الذى اتخذ هذا الطريق عليــــه الاختيار دائماً . . وفي بعض المواقف تصبح كفــــة ما هو إلهى موازية لكفة ما هو شيطانى . . وتتأرجح كل منهما . . وهنا تتحقق الادراة الالهية العظيمة ، ولذلك فكل تدخل من الخارج هنا يعتبر أمراً بالـــــغ الخطورة والعذاب . . وإذا جاز التعبير هنا نقول . . ؟ ان الإنسان هنا يبذل جهداً كبيراً في شد ثقل هائل ، ولذا فان أية لمسة أصبع يمكن أن تقصم ظهره .

ليـــوبا : ولكن ما الحاجة إلى المعاناة ؟

نيقـــلاى
ايفانفتش : تماماً مثلما تقول الأم . . ما الحاجة إلى معاناة الولادة ولكن الولادة لا تكون بغير ألم . . وهكذا الحـــال في الحياة المعنوية . . أقول لك شيئاً واحداً . . ان باريس مسيحى حق ، ولذا فانه حر . . وإذا كنت لا تستطعين أن تكوني مثله . . لا تستطيعين الإيمان بالله مثله أو من خلاله . . فعليك أن تؤمنى به وتؤمنى بالله .

مـــاريا
ايفانفـــنا : (من وراء الباب) : هل من الممكن الدخول ؟

نيقــلاى
ايفانفتش : ممكن الدخول في أى وقت . . انظروا . . يا لها من حفلة استقبال لدى الآن .

المشهد الثالث

الشخصيات السابقة ، ماريا ايفانفنــا

مــاريا
ايفانفــنا : لقد جاء قسيسنا فاسيلى نيكانورفتش . . انه ذاهب إلى المطران . . لقد رفض العمل في الكنيسة .

نيقــلاى
ايفانفتش : غير معقـــول !

مــاريا
ايفانفــنا : انه هنا . . ليوبا . . استدعيه . . انه يريد رؤيتك .

(تخرج ليوبا لاستدعائه)

المشهد الرابع

الشخصيات السابقة دون ليـــوبا

مــاريا
ايفانفــنا : كما أنى جئت لأخبرك بأمر فانيا . . لقد أصبحت تصرفاته بالغة السوء إلى جانب الاهمال في دراسته ، ولذلك فانه لن ينجح بحال من الأحوال . . وحين أردت تنبيهـــه إلى ذلك ، رد على بفظاظـــة .

نيقـــلاى

ايفانفتش : ماشا . . انك تعلمين جيداً أنني لا أشارككم نمطية الحياة هذه التي تعيشونها ، ولا أشاركك تربيتهم . . فهذه مشكلة رهيبة بالنسبة لى . . بمعنى . . هل لي الحـــــق أن أراهم يضيعون أمام عيني .

مـــاريا

ايفانفـــنا : إذن ، فهم في حاجة إلى شيء آخر محدد . . فمـــاذا تقدم لهم ؟

نيقـــلاى

ايفانفتش : لا أستطيع قول ماذا أقدم . . أقول قولا واحداً فقط هو . . أولا ينبغى التحرر من هذا الترف المفسد .

مـــاريا

ايفانفـــنا : كى يصبحوا فلا حين أجلاف ؟ لا أستطيع قبول هذا .

نيقـــلاى

ايفانفتش : إذن لا تسأليني . . ان ما يكدرك في هذاه الحالة هـــــو النتيجة الحتمية للوضع الذى نعيشه .

(يدخل القس ويتبادل القبلات مع نيقلاى ايفانفتش)

المشهد الخامس

الشخصيات السابقة ، القس ، ليـــوبا

نيقـــلاى

ايفانفتش : أصحيح أنك قطعت علاقتك بالكنيسة ؟

القـــس : لا أستطيع الصبر أكثر من هذا .

نيقـــلاى

ايفانفتش : لم أكن أتوقع ذلك بمثل هذه السرعة .

القــس : لم يعد الأمر محتملاً . . يستحيل على المرء أن يبقـــى غير مبال في حياتنا كقس . . ينبغى الوعظ وتطهـير النفوس . . وحين أدركت أن هذا ليس حقيقياً . . .

نيقـــلاى

ايفانفتش : وما العمل الآن ؟

القــس : اني ذاهب الآن إلى المطران للمساءلة . . أخشى أن يكون القرار بالنفى إلى دير سالافيتسكى(١) . . كنت أفكر في وقت من الأوقات بالهروب إلى خارج البلاد ، وأن أطلب منك مساعدتي في ذلك ، ثم عدلت عن هـــذا الرأي . . ما العمل ؟ . . انه الجبن و التخــاذل هما اللذان جعلاني أفكر في هذا . . ان ما يشغلنى هو الزوجة فقط .

نقيـــلاى

ايفافنتش : وأين هـــى ؟

القــس : سافرت إلى والدها . كانت حماتي عندنا وأخذت إبننا معها . . انه أمر يثير الألم في النفس . . كم كنت أود (يتوقف عن الكلام ويحبس دموعه) . .

نيقـــلاى

ايفانفتش : فليساعدك الرب . . ها . . هل نزلت عندنا ؟

---

(١) دير فى مجموعة جزر سالافيتسكى باقصى شمال روسيا ، المترجم .

المشهد السادس

الشخصيات السابقة ، البرنسيسة

البرنسيسة : (تدخل الغرفة مندفعة) ها قد حدث ما كنت أتوقعه ! لقد رفض الخدمة في الجيش وتم القبض عليه . . كنت هناك الآن ولم يسمحوا لي بالدخول . أرجوك يا نيقلاى ايفانفتش أن تذهب أنت إليـــه :

ليــوبا : كيف رفض ؟! وكيف عرفت بهــذا ؟

البرنسيسة : كنت هناك . . ولقد حكى لى فاسيلى أندريفتش عضو إدارة التجنيد ما حدث . . لقد دخل الادارة وأعلن صراحة أنه لن يخدم في الجيش ولن يؤدى قسم الخدمة . . كل هذا علمه له نيقلاى ايفانفتش .

نيقـــلاى

ايفانفتش : أيتها البرنسيسة ! وهل من الممكن تعليم أحد ؟

البرنسيسة : لست أدرى ، ولكن المسيحية ليست في هذا . . هــل المسيحية في هذا قل لى أنت يا أبتِ . .

القـــس : لم أعــد أبــا . .

البرنسيسة : الأمر سيان . . كما أنك مثله كذلك . لا ضير عليكم من هذا ، ولكن لا . . لن أدع الأمر يمضى هكذا . . ما هذه المسيحية الملعونة التى يعاني نتيجــة لها الناس ويضيعون حياتهم ؟! اني أكره مسيحيتكم هذه . . لا ضير عليكم لعلمكم أن أحداً لن يمسكم بسوء . . أما أنا فلدي ولد واحد ، ولقد أوصلتموه أنــــتم إلى الضياع .

نيقـــلاى

ايفانفتش : هدئي من روعك يا برنسيسة .

البرنسيسة : أنت الذى ضيعته . . لقد ضيعته وعليك انقاذه . . اذهب إلى هناك واقنعه أن ينبذ هذه الحماقات . . ربما تكون ممكنة بالنسبة للأغنياء ، ولكنها ليست كذلك بالنسبة لنا .

ليـــوبا : (تبكى) بابا . . ما العمل ؟

نيقـــلاى

ايفانفتش : حسناً سأذهب إليه . . ربما أستطيع مساعدته (ينزع المئزر) .

البرنسيسة : (تساعده في ارتداء ملابسه) لم يسمحو لي بالدخـــول ولكننا سنذهب سوياً ، وسأتمكن من الدخول إليه .

(يغادران المـــــكان)

ستـــــار

يتغير المنظر . سكرتارية مكتب . يجلس كاتب ، عند الباب المقابل جندى حراسة يسير جيئة وذهابا . يدخل جنرال وياوره . يقفز الكاتب من مقعده ويؤدى الجندى التحيـــة العسكرية .

المشـــهد الأول

الجنرال ، اليـــــاور ، الكاتب

الجـــنرال : أين الكولونيل ؟

الكاتب : لقد ذهب إلى المجند الجديد يا صاحب السعادة ..

الجـــنرال : آ . حسناً . اطلب منه أن يأتي إلىّ .

الكاتب : حسناً يا صاحب السعادة .

الجنرال : أليست هذه هى أقوال المجند الجديد التى تكتبها ؟

الكاتب : انها هــى .

الجنرال : هاتهــا .

(يقدم له الكاتب محضر الأقوال ويغادر المكان)

المشــهد الثانــي

الشخصيات السابقة دون الكاتب

الجنرال : (يقدم الأوراق للياور) اقرأها من فضلك .

اليــاور : « فيما يتعلق بالأسئلة الموجهة لى . . الأول . . لماذا أرفض أداء القسم ، والثاني . . لماذا أرفض تنفيذ طلب الحكومة وما الذى جعلنى أتفوه بألفاظ مهينه لا بالنسبة لفئة العسكريين وحدهم ، بل بالنسبة للسلطات العليا كذلك . . فاني أجيب على السؤال الأول بما يلى : اني أرفض أداء القسم لأننى أتبع تعاليم المسيح . فان القسم في تعاليم المسيح ممنوع بصورة صريحة ومحددة كما جاء في انجيل متى بالاصحاح الخامس الآيات ٣٣ ـــ ٣٨ ، وفي رسالة يعقوب الاصحاح الخامس الآية ١٢ » .

الجنرال : هه . . عجباً . . يجادلون ويفسرون وفق هواهم . .

اليــاور : (يواصل القراءة) يقول الإنجيل . . « لا تقسم على الاطلاق بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا ، وما زاد على ذلك فهو من الشرير » ، كما جــاء في رسالــة يعقوب . . « ولكن قبــل كل شىء ، يا أخــوتي ،

لا تحلفوا لا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسم آخر ، بل لتكن نعمكم نعم ولاكم لا لئلا تقعوا تحت دينونة » . . ولا يتوقف الأمر على أن الإنجيل يتضمن مثل هذه الاشارة الدقيقة التى تقضى بعدم القسم ، إذ أنه لو لم تكن هناك مثل هذه الاشارة ، لما استطعت القسم بتنفيذ إرادة الناس ، ذلك لأنه ينبغى علىّ وفق القانون المسيحى أن أنفذ دائماً إرادة الرب ، والتى قد لا تلتقى مع إرادة البشر » .

الجنرال : هه . . عجباً . . يجادلون . . لو كانوا قد استمعوا إلى ، لما حدث كل هذا .

اليـاور : (يواصل القراءة) : « كما أرفض كذلك تنفيذ طلبات الناس الذين يسمّون أنفسهم حكومة لأن . . .

الجنرال : يا لها من وقاحـة !

اليـاور : « لأن هذه الطلبات هى طلبات آثمـة وشريرة . انهم يطلبون منى أن ألتحق بالجيش وأتدرب واستعد للقتل ، وهذا محرم بالنسبة لى وفق ما جاء في العهد القديم والعهد الجديد ، بل والأهم من ذلك ، انه أمر يحرمه ضميرى . وعلى السؤال الثالث . . . »

(يدخل الكولونيل والكاتب . يمد له الجنرال يـده مصافحاً) .

المشـهد الثالث

الشخصيات السابقة ، الكولونيل ، الكاتب

الكولونيل : أتقرأون الأقـوال ؟

الجنرال : نعم . . انها كلمات غاية في الوقاحة . . هيا استمر . .

اليـــاور : « وعلى السؤال الثالث حول ما الذى جعلنى أتفـــوه بألفاظ مهينة في الادارة أجيب : ان الذى جعلنى أفعل ذلك هو الرغبة في خدمة الرب ، وكشف الخداع الذى يقترف باسمه ، وأتمنى أن أحافظ على هذه الرغبة حتى مماتي ، ولذلك . . . »

الجنرال : كفى . . يستحيل سماع كل هذا الكلام الفارغ . . الأمر وما فيه هنا هو ضرورة استئصال هذا وعمـــل ما من شأنه ألا يفسد الناس (مخاطباً الكولونيل) هل تحدثت معه ؟

الكولونيل : كنت أتحدث معه طول الوقت ، وحاولت ايقاظ ضميره وإقناعه بأن عاقبة الأمر بالغة السوء بالنسبة له ، وأنه لن يصل إلى شيء بهذا . كما تحدثت معه عـــن أسرته . . انه قلق إلى حد كبير ، ولكنه يعيد ويكرر ما يقـــوله .

الجنرال : عبثاً الحديث معه كثيراً . . فاننا عسكريون لأننـــا لا نجـــادل ، بل لأننا نطيع الأوامر . . استدعه هنا . (يخرج الياور والكاتب)

المشـــهد الرابـــع

الجنرال ، الكولونيل

الجنرال : (يجلس) لا . . أيها الكولونيل . . ليس هذا هـــو التصرف السليم . ليس على هذا النحو يكون التعامل مع أمثال هؤلاء الشبان . ان الأمر يتطلب هنا اتخاذ

اجراءات خاسمة لاستئصال الجزء المريض . المثل يقول : العنزة الجرباء تعدى القطيع كله . . يستحيل التساهل في مثل هذه الأحوال . ان كونه برنسا وأُمه برنسيسة وخطيبته كذلك لا يهمنا في شيء . . ان الذى أمامنا جندى ، وعلينا أن نعمل على تنفيذ الإرادة العليا .

الكولونيل : ولكنى أعتقد أنه من الأفضل زحزحة فكره بالاقناع .

الجنرال : هذا محال . . بالحسم والحسم وحده . . كانت لدى مثل هذه الحالات . . ينبغى عليه أن يشعر بضآلته وأنه ليس سوى حبة رمل تحت عجلة العربة ولا يستطيع ايقافهـا .

الكولونيل : لا بأس . . من الممكن أن نجرب ذلك .

الجنرال : (يبدأ في الاحتداد) ما من شيء يستحق التجربة . . ما من شيء يجب علي تجربته . . اني أربع وأربعين سنة أخدم جلالة القيصر ، ولقد وهبت ولا أزال عـلى استعداد لأهب حياتي كلها من أجل هذه الخدمة ثم فجأة يأتي صبى صغير ليعلمنى ويقرأ عليّ نصوصاً دينية . . فليشغل نفسه بهذا الحديث مع القساوسة . . أما بالنسبة لى ، فالأمر واحد . . انه اما جندى وإما مقبوض عليه . . هذا كل ما في الأمـر .

(يدخل باريس في حراسة جنديين ومن خلفـه اليـاور والكاتب) .

المشهد الخامس

الشخصيات السابقة ، باريس ، جنديا الحراسة ، اليـاور ، الكاتب .

الجنرال : (مشيراً باصبعه) ضعوه هنا . .

باريـس : لست أنا الذى أوضع . . اني أقف أو أجلس حينما أريد لأن سلطتك علي لا . .

الجنرال : اسكت ! ألا تعترف بسلطتي ؟ سأجبرك على الاعتراف بها .

باريـس : (يجلس على كرسى) ان صياح سيادتكم يجعل من تصرفكم تصرفاً غير حميد .

الجنرال : ارفعوه وضعوه هنا .

(ينهض الجنديان باريس)

باريـس : ان سيادتكم تستطيعون الأمر بذلك . . كما تستطيعون قتلي كذلك ، ولكن إجبارى على طاعتكم . . .

الجنرال : قلت لك . . اخرس ! اسمع ما سأقوله لك .

باريـس : (يبدل لهجة حديثه مخاطباً الجنرال بصيغة عدم الاحترام) لا أريد سماع شيء منك بالمرة . . منك أنت . .

الجنرال : انه مجنون . . ينبغى إرساله إلى المستشفى لفحصه . ما من شيء يمكن عمله غير هذا .

الكولونيل : هناك أمر باستجوابه في إدارة الجندرمة .

الجنرال : وماذا تنتظرون ؟ هيا أرسلوه ، ولكن يجب أن يرتدى الملابس العسكرية أولاً .

الكولونيل : لا يدعنا نفعل ذلك .

الجنرال : ينبغي تقييده . . (مخاطباً باريس) يجب أن تستمع إلى مـــا سأقوله لك . . سيان بالنسبة لي مـــا سيحدث لك ، ولكني أنصحك لصالحك . . أفق . . سوف تتعفن من الحبس في سجن القلعة ، ولن تفعل شيئاً للآخرين . . دعك من كل هذا . . لقد اشتد بك الغضب واشتد بي كذلك (يربت على كتفه) هيا . . اذهب وأد القسم ودعك من كل هذا (مخاطباً الياور) هل القسيس هنا ؟ (مخاطباً باريس) ها . . ما رأيك ؟

(يلتزم باريس الصمت)

لم لا تجبني ؟ حسناً . . هكذا أفضل . . المثل يقول . . البيضة لا تكسر الحجر . . فلتبق على أفكارك هذه لنفسك ، وتقضي مدة خدمتك . . اننا لن نجبرك على شيء . . ها . . ما رأيك ؟

باريـــس : ليس هناك ما يمكنني قوله . . فقد قلت كل ما عندي .

الجنرال : لقد قلت في أقوالك ان الإنجيل يقول هذه الآية وتلك الآية . . ولكن القساوسة هم أصحاب الأمر في هذا . . تحدث مع القس ثم فكر في الأمر بعد ذلك . . سيكون هذا أفضل . . وداعاً وأرجو أن يكون لنا لقاء أهنئك فيه بخدمة القيصر . . أرسلوا القس (يغادر المكان ومن خلفه الكولونيل والياور)

المشهد السادس عشر

باريس ، الكاتب ، الجنديان

باريـــس : (مخاطباً الكاتب والجنديين) أرأيتم كيف يتحدثون .

انهم يعرفون في قرارة أنفسهم أنهم يخدعونكم . . لا تخضعوا لهم وألقوا السلاح . . اتركوا الخدمة ، وليلقوا بكم في كتيبـــة التأديب المخصصـــة للمحكوم عليهم ، وليضربوكم بالسياط . . ان هذا أفضل من أن يكون المرء خادماً لهؤلاء المخادعين .

الكاتب : ولكن كيف يستوى الأمر دون عسكريين ؟ يستحيل هـــذا . . .

باريـــس : ليس علينا أن نحكم في هذا . . يجب علينا أن نحكم فيما يريده الرب منا . . والرب يريد أن نكون . . .

أحـــد
الجنديين : ولكن ما الرأى في قول الكنيسة « العسكرية المُحبة للمسيحية » ؟

باريـــس : لم يرد هذا القول في أى من الكتب . . انه من اختراع المخادعين .

الجندى : كيف هذا ؟ من المرجح أن المطارنة يعرفون مصدره .

(يدخل ضابط جندرمة وكاتبه)

المشـــهد السابـــع

الشخصيات السابقة ، ضابط الجندرمة ، كاتبه

ضابـــط
الجندرمة : (مخاطباً الكاتب) هل المجند البرنس تشير مشانف محجوز هنا . .

الكاتب : نعم يا أفنـــدم . . ها هو . .

ضابـــط

الجندرمة : تقدم هنا . . هل أنت البرنس باريس سيميونفتش تشير مشانف الذى رفض أداء القسم ؟ .

باريـــس : أنا بعينــه .

ضابـــط

الجندرمة : (يجلس ويشير إلى مكان أمامه) اجلس من فضلك . .

باريـــس : أعتقد أن حديثنا لن يكون مجدياً بالمرة .

ضابـــط

الجندرمة : لا أعتقد ذلك . . أعتقد أنه لن يكون دون جدوى بالنسبة لك على الأقل . . واسمح لى أن أقول لك انك سوف تتحقق من ذلك بنفسك . عندى بلاغ أنك ترفض أداء الخدمة العسكرية وأداء القسم العسكرى لأن هنـاك شكاً في أنك تنتمى إلى حزب ثورى ، وهذا هو ما يجب علىّ التحقيق فيه . وإذا كان هذا صحيحاً ، فسنخرجك من الخدمة العسكرية ونسجنك أو ننفيك وذلك يتوقف على درجة اشتراكك في الثورة وإذا كان الأمر غير ذلك ، فسنتركك لرئاستك العسكرية . . تفضل وأنظر بنفسك كيف أقول لك كل شىء بصراحة ، وآمل أن تكون علاقتك بنا مبنية عـــلى الثقة .

باريـــس : لا يمكن أن تكون لدى ثقة أولاً بالناس الذين يرتدون الزى الذى ترتديه . . ثانياً . . انى لا لا أحترم وظيفتك فحسب ، بل أشعر نحوها باشمئزاز بالغ كذلك . . ولكنى لن أرفض الاجابة على أسئلتك . ما الذى تريد معـــرفته ؟

ضابـــط

الجندرمة : أولاً . . اسمح لى . . اسمك ولقبك وديانتك . .

باريــــس : انك تعرف كل هذا ولن أجيب عليه . . ولكن هناك سؤالاً واحداً فقط يمثل أهمية كبيرة بالنسبة لي ، وهو السؤال عن ديانتى ، وأجيب عليه قائلاً : إننى لست بما يسمى أرثوذكسياً روسياً .

ضابـــط

الجندرمة : إذن ما هى ديانتك ؟

باريــــس : لا أستطيع تحديدها بالضبط .

ضابـــط

الجندرمة : وإذا حاولت فماذا تكون ؟

باريــــس : فلنقل . . مسيحي وفق تعاليم موعظة الجبل .

ضابـــط

الجندرمة : (مخاطباً كاتبه) أكتب (يكتب الكاتب) ولكنك رغم ذلك تعترف بانتمائك لدولة ما ولفئة ما ؟

باريــــس : لا . . لا أعترف . . اني أعتبر نفسى إنساناً . . عبدالله .

ضابـــط

الجندرمة : ولم لا تعتبر نفسك مواطناً في الدولة الروسية ؟

باريــــس : لأننى لا أعترف أصلاً بوجود أية دول .

ضابـــط

الجندرمة : ماذا تقصد بانك لا تعترف بالدولة ؟ هل تبغى القضاء عليهـــا ؟

باريــــس : دون شك . . أبغى ذلك وأعمل من أجلـــه .

ضابـــط

الجندرمة : (مخاطباً الكاتب) أكتب . . وما الطرق التى تسعى بها إلى ذلك ؟

باريـــس : كشف الخداع والكذب ونشر الحقيقة . . كنت الآن حين جئت أنت أتحدث مع هؤلاء الجنود وأقول لهم ألا يؤمنوا بالخداع الذى جرجروهم فيــه .

ضابـــط

الجندرمة : ولكن هل هناك وسائل أخرى غير الكشف عمـــا تقول والاقناع به ؟

باريـــس : لا . . اني لا أعترف بالدولة ، والأكثر من هذا فاني أرى في كل عنف ذنباً عظيما . . وليس العنف فقط ، بل وكل كتمان للحق وكل خبث . . .

ضابـــط

الجندرمة : أكتب . . حسناً والآن اسمح لي أن أسجل بعضاً من معارفك . . هل تعرف ايفاشنكوف ؟

باريـــس : لا .

ضابـــط

الجندرمة : وهل تعرف كلـــين ؟

باريـــس : سمعت عنه ، ولكنى لم أره على الاطلاق .

(يدخل قس عجوز يحمل صليباً وإنجيلاً . يقترب منه الكاتب ليباركـــه)

المشــهد الثامن

الشخصيات السابقة، القــس

ضابــط

الجندرمة : أعتقد أنه من الممكن إنهاء التحقيق . . اني أعتبرك شخصـاً غير خطر ولا تخضع لادارتنا . . أتمنى لك الخروج بسرعة . . تحياتي لك . (يشد على يده) .

باريــس : أريد أن أقول لك شيئاً واحداً فقط . . وأرجو المعذرة لأنني لا أستطيع ألا أقوله لك . . لم اخترت هـــذا العمل غير الحميد الشرير ؟ أود نصحك بتركه . .

ضابــط

الجندرمة : (وهو يبتسم) أشكرك على نصيحتك هذه ، ولكن هناك أسباباً لذلك . . تحيتى واحترامى لك . . اني أتركه لك يا أبتى . (يغادر المكان هو وكاتبه) .

المشهد التاسع

الشخصيات السابقة دون ضابط الجندرمة وكاتبه

القــس : كيف تحزن رئاستك على هذا النحو ، وترفض تنفيــذ واجب المسيحى وخدمة القيصر والوطن ؟

باريــس : (مبتسماً) على العكــس أريد تنفيذ واجب المسيحى ، ولذا لا أريد أن أكون جندياً .

القــس : ولم لا ترغب في ذلك ؟ ان الإنجيل يحض على التضحية بالنفس من أجل الأهل . . ومن يعمل ذلك فهــــو المسيحي الحق .

باريـــس : نعم . . التضحية بالنفس . . هذا مفهوم بالنسبة لى ، ولكن الإنجيل لم يحض على القضاء على نفوس الآخرين . . اني أريد ذلك . . أقصد التضحية بالنفس .

القـــس : انك ترى الأمور ، أيها الشاب ، بصورة مغايرة لما هى عليه . . فقد قال يوحنا المعمدان للجنود . . . . . .

باريـــس : (وهو يبتسم) وهذا يؤكد أن الجنود كانوا يعملون النهب آنذاك رغم أنه لم يكن يأمر هم بذلك .

القـــس : ولكن لم لا تريد اداء القسم العسكري ؟

باريـــس : انك تعلم أن الإنجيل يحرّم القسَم .

القـــس : لا على الاطلاق . . ولو كان الأمر كذلك ، فكيف إذن نفسر قول بيلاطس : « استحلفك بالله الحـــي أن تقول لنا هل أنت المسيح » ، فـــرد عليه المسيح قائلاً . . « هو أنا » . . وهذا يعنى أن القسم غـــير محـــرم .

باريـــس : ألا تخجل من نفسك لهذا الخلْط ؟ انك رجل عجوز .

القـــس : لا تعاند . . اني أنصحك . . اننا لا نستطيع ان نغير في الكون شيئاً . . هيا أد القسم ، وسيمضى كل شيء في هدوء ، أما ما يعتبر ذنباً أو غير ذنب ، فدعه للكنيسة .

باريـــس : أأدعه لكم أنتم ؟ ألا تشعر بالرهبة من تحمل هـــذ الكم الهائل من الذنوب ؟

القـــس : أية ذنوب ؟ لقد تربيت على الإيمان العميق ، وعشت ثلاثين عاما في عملى كقس ، ومن غير الممكن أن أكون قد أذنبت .

باريس : الذنب هو أنكم تخدعون هذا العدد الكبير من الناس . . أنظر ما الذى في أدمغتهم ؟ (يشير إلى الجندى) .

القس : ان هذا ، أيها الشاب ، ليس محل نقاش بيني وبينك . . ان ما علينا هو طاعة من هو أعلى منا .

باريس : دعني وشأني . . اني أشعر بالشفقة نحوك ، واني لآسف إذا قلت لك أنني أشعر بالاشمئزاز من سماعي لك . . او كنت مثل ذلك الجنرال ، لما كان هناك شيء ، ولكنك تحمل صليباً وإنجيلاً ، وتأتي إلى باسم المسيح لتقنعني بالتبرأ من المسيح . . أخرج (بانفعال) إذهب إلى حـال سبيلك ودعني وشأني . . خذوني من هنا كيلا أرى أحداً . . لقد تعبت . . تعبت بشدة .

القس : إذن وداعاً طالما الأمر على هذا النحو .

(يدخـل الياور)

المشهد العاشر

الشخصيات السابقة ، الياور ، يجلس باريس في مؤخرة المسرح

الياور : ها . . كيف الحال ؟

القس : عناد لا حد له . . انه نشوز وعصيان .

الياور : ألم يوافق على أداء القسم والخدمـة ؟

القس : لا بحال من الأحوال .

الياور : إذن ينبغي نقله إلى المستشفى .

القـــس : ماذا يمكن أن يفعل المرء للمرضى ؟ ان هذا أفضل حل والا أصبح مثالا للغـــواية .

اليـــاور : هناك أمر بترحيله آإلى المستشفى لفحصه في قسم الأمراض النفسية .

القـــس : هذا بديهى . . تحياتي لك . (يغادر المكان)

المشهد الحادى عشر

الشخصيات السابقة دون القـــس

اليـــاور : (يقترب من باريس) لو سمحت . . عندى أمر بنقلك من هنا .

باريـــس : إلى أين ؟

اليـــاور : إلى المستشفى ولفترة ما . . وهناك سيكون الجو أكثر هدوءاً بالنسبة لك ، وسيكون لديك ما يكفى مـــــن وقت للتفكـــير .

باريـــس : لقد فكرت منذ مدة طويلة . . ولكن حسناً فلنذهب من هنا .

(يغادران المـــــكان)

— ســـــتار —

يتغير المنظر . . غرفة الاستقبال بالمستشفى العسكرى

المشـــهد الأول

طبيبان أحدهما أكبر رتبة والآخر أصغر منه رتبة . .
ضابط مريض يرتدى روبا ، حراس يرتدون قمصاناً
فضفاضة . .

الضابط
المريض : أقول لكم انكم توصلوني إلى درجة أكبر من الضياع . .
لقد كنت أشعر أكثر من مرة أنى معافا تماما .

الطبيب
الأكبر رتبة : لا تقلق بالك بالمرة . . اني موافق على أن اسمح لك
بالخروج . . ولكنك تعلم جيداً أن الحرية تمثل خطراً
عليك . . ولو كنت أعلم أن هناك من يتولى رعايتك . .

المريض : هل تعتقد أنى سأعود إلى شرب الخمر مرة أخرى ؟
لا . . لقد تعلمت . ان كل يوم يمضى علىّ هنا يميتنى . .
انكم تفعلون عكس (يحتد) ما هو ضرورى . . انكم
قساة ، غلاظ القلوب ، وهذا يطيب لنفوسكم .

الطبيب
الأكبر رتبة : إهدأ (يعطى الحارسين اشارة فيقتربان من الخلف)

المريض : يطيب لأنفسكم الجدال في حرية ، ولكن كيف يكون
حالكم بين المجانين (مخاطباً الحارسين) لم تقتربان ؟
ابتعـــدا عنى .

الطبيب
الأكبر رتبة : أرجوك أن تهـــدأ .

المريض : وأنا أرجوك . . لا . . اني أطالب باخراجي (يزعق ويهم بالجرى ولكن الحارسين يمسكان به . . صراع بينه وبينهما ، ثم يخرجانه بالقـــوة) .

المشـــهد الثانـــي

الطبيبان الأكبر رتبة والأصغر رتبة

الطبيب الأصغررتبة: ها قد عاودته النوبة من جديد وكاد يصطدم بك .

الطبيب الأكبررتبة : مدمن خمرا . . وما من شيء يمكن عمله . . رغم ذلك هناك تحسن في صحته .

(يدخل اليـــاور)

المشـــهد الثالث

الشخصيات السابقة ، اليـــاور

اليـــاور : طاب يومكم !

الطبيب الأكبررتبة : طاب يومك !

اليـــاور : جئت لكم بشخصية طريفة تستحق الدراسة . . المدعو البرنس تشير مشانف . . كان عليه أن يؤدى الخدمـــة العسكرية ، ولكنه رفض انطلاقاً من الإنجيل . ولقد أحلناه على الجندرمة ، ولكنهم وجدوا آنه ليس من اختصاصهم لعدم وجود ما يستوجب الاشتباه فيه ، ثم

حاول القـــس أن يثنيه عن عزمه ، ولكن المحاولة لم تأت بنتيجة .

الطبيب
الأكبررتبة : (وهو يضحك) وكما هو الحال دائماً تلجـــأون إلينا كمرحلة أخيرة . . لا مانع . . إئت به .

(يخرج الطبيب الأصغر رتبة)

المشـــهد الرابـــع

الشخصيات السابقة دون الطبيب الأصغر رتبة

اليـــاور : يقال أنه شاب متعلم إلى حد كبير ، وأن خطيبتـــه ثرية . . أمر عجيب حقاً . . أقول بصراحة . . أن مكانه الطبيعى عندكم هنا .

الطبيب
الأكبررتبة : انها غرابة الأطــــوار .

(يدخلون باريس)

المشـــهد الخـــامس

الشخصيات السابقة ، باريس

الطبيب
الأكبررتبة : تفضل . . تفضل . . اجلس من فضلك . . ســـوف نتحدث بعض الوقت . . اتركنا نحـــن .

(يغادر اليـــاور المكان)

المشـهد السـادس

الشخصيات السابقة دون اليـاور

باريـس : إذا كان من الممكن ، فانني أرجوك ، لـو كنتم ستحتجزوني ، فاحتجزوني بأسرع ما يمكن كي تتاح لى الفرصة لأستريـح .

الطبيب
الأكبر رتبة : أرجو المعذرة . . هناك قواعد يجب علينا مراعاتها . . أولا عدد من الأسئلة وحسب . . بم تشعر ؟ ومم تعاني ؟

باريـس : لا أعاني من شيء . . اني بصحة وعافية .

الطبيب
الأكبر رتبة : ولكنك لا تتصرف مثل الآخرين .

باريـس : اني أتصرف كما يملي عليّ ضميرى .

الطبيب
الأكبر رتبة : ها أنت قد رفضت أداء الخدمة العسكرية . . فما سبب ذلك ؟

باريـس : لأنني مسيحى ولذا لا أستطيع القتل .

الطبيب
الأكبر رتبة : ولكن ينبغى الدفاع عن الوطن ضد الأعداء ، كما ينبغى منح الخارجين عن القانون من ارتكاب الشرور .

باريـس : ما من أحد يهاجم الوطن . . والخارجون على القانون عددهم بين الحكومة أكبر من عدد الذين تضطهدهم هـي .

الطبيب
الأكبر رتبة : وكيف يكون ذلك في تصورك ؟

باريـــس : بكل بساطة . . على سبيل المثال . . ان السبب الرئيسى للشرور هو الفودكا ، والحكومة تبيعها ، ثم ها هـى الحكومة تعمل على نشر المعتقدات الكاذبة الخادعة ، ثم خذ الجندية مثلاً . . وهى التى يطلبون منى أداءها . . والتى تعتبر الوسيلة الرئيسية للفساد . . تطالب بهـا الحكومة كذلك . . .

الطبيب
الأكبر رتبة : أرى أنه من وجهة نظرك أنه ما من حاجة إلى الحكومة أو الدولـــة ؟

باريـــس : هذا ما لا أعرفه ، ولكن ما أعرفه بكل تأكيد هـــو أنه لا يجب علىّ المشاركة في الشر .

الطبيب
الأكبر رتبة : ولكن ما الذى يمكن أن يحدث للعالم إذن ؟ ان الله وهبنا العقل كى نتنبأ بما يمكن أن يكون .

باريـــس : كما أن الله وهبنا العقل كذلك لكى نرى أن النظام الاجتماعى لا يجب أن يقوم على العنف ، بل ينبغى أن يقوم على الخير ، كما أن رفض فرد واحد المشاركة في الشر لا يمثل أية خطورة .

الطبيب
الأكبر رتبة : والآن اسمح لى أن أفحصك فحصاً خفيفاً . . تفضل وأرقد (يبدأ في جسه) هل تشعر بألم هنا ؟

باريـــس : لا . .

الطبيب
الأكبر رتبة : وهنـــا ؟

باريـــس : لا . .

الطبيب
الأكبر رتبة : خذ نفساً . . لا تتنفس . . أشكرك . . والآن اسمح لى (يخرج مسطرة ويقيس الجبهة والأنف) والآن أرجوك أن تغلق عينيك وتتمشى هنا .

باريـــس : ألا تشعر بالخجل من كل ما تفعله هذا ؟

الطبيب
الأكبر رتبة : مـــــاذا تقصد ؟

باريـــس : أقصد كل هذه الحماقات . . انك تعلم تمام العلم أننى في صحة جيدة ، وأنهم أرسلوني إلى هنا لأننى رفضت المشاركة في شرورهم . . وأنه ليس لديهم ما يردون به على الحقيقة ، وأنهم تظاهروا لهذا السبب بأنهم يرون فيّ شخصـــاً غير طبيعى ، وهـــا أنت تعاونهم في هذا . . ان كل هذا يثير الاشمئزاز والحجل . . دعك من كل هذا . .

الطبيب
الأكبر رتبة : إذن لا تريد أن تتمشى في الحجرة ؟

باريـــس : لا . . لا أريد . . يمكنك أن تعذبنى كما تشاء ، ولكن عليك أن تفعل ما تريد وحدك ، فانى لن أساعدك (محتداً) دعك من كل هذا . .

(يضغط الطبيب الجرس . يدخل الحارسان)

المشـــهد السابـــع

الشخصيات السابقة ، الحارسان

الطبيب الأكبر رتبة : هدىء من روعك . . اني أدرك أن أعصابك متوترة . . ألا ترغب في الذهاب إلى القسم المخصص لك ؟

(يدخل الطبيب الأصغر رتبة)

المشـــهد الثامن

الشخصيات السابقة ، الطبيب الأصغر رتبة

الطبيب الأصغر رتبة : هناك من يود زيارة تشير مشانف .

باريـــس : ومن هم ؟

الطبيب الأصغر رتبة : صارينتسف وابنتـــه .

باريـــس : أود رؤيتهمـــا .

الطبيب الأكبر رتبة : حسناً . . دعهما يدخلان . . يمكنك استقبالهما هنـــا

(يغادر المكان ومن ورائه الطبيب الأصغر رتبـــة والحارسان) .

(يدخل نيقلاى ايفانفتش ، ليوبا ، البرنسيســة

تنظر من الباب قائلة : ادخلا أنتما ، أما أنا ففيمـــا
بعــــد) .

المشهد التاسع

باريس ، نيقلاى ايفانفتش ، ليــوبا

ليــوبا : (تندفع نحوه مباشرة وتمسك برأسه وتقبله) مسكين أنت يا باريس !

باريـــس : لا . . لا تشفقى عليّ . . يطيب لنفسى أن أكون على هذا النحو . اني أشعر بسعادة ، وأشعر بانشراح . . أهلا بك (يتبادل القبلات مع نيقلاى ابفانفتش)

نيقـــلاى
ايفانفتش : لقد جئت لأقول لك شيئاً هاماً واحداً فقط . . أولا . . أن يغير المرء تصرفه في مثل هذه الأحوال أسوأ من أن يصل إلى هدفه ناقصاً ، ثانياً . . ينبغى التصرف في هذا الأمر وفق ما جاء في الإنجيل . . أى دون تفكير مسبق بمعنى أن تقول سأتصرف هكذا أو سأقول كذا . . يقــول الإنجيـــل . . » ومتى قدموكم إلى المجامـــع والرؤساء والسلاطين فلا تهتموا كيف أو بما تحتجون أو بما تقولون لأن الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه . . »(١) والمقصود هنا ألا يعمـــل المرء بعدما يفكر في أن هذا هو الذى ينبغى عمله ، بل يعمل حين يشعر بكل كيانه أنه لا يمكن أن يتصرف على نحو مغاير .

---

(١) انجيل لوقا ، الاصحاح ١١ : ١١ ـ ١٢ ، المترجم .

باريـــس : هكذا كنت أتصرف . لم أكن أفكر في أنني سأرفض أداء الخدمة العسكرية ، ولكني حين رأيت كل هذا الكذب وكل هـذه القوانين ، وكل هـذه الأوراق والبوليس وأعضاء إدارة التجنيد المدخنين هـؤلاء . . لم أستطع عدم قول ما قلته . . كان الأمر فظيعاً . . ولكن ذلك لم يكن الا في البداية . . وحين بدأت ، أصبح كل شيء بسيطاً يثلج الصدر إلى حد بعيد .

(تجلس ليوبا وتبكى)

نيقـــلاي

ايفانفتش : ولكن المهم ألا تفعل شيئاً من أجل تمجيد البشر أو من أجل أن يحظـــى هذا بتأبيد ممّن تعتز برأيهم . . وأقول لك صراحة وبكل شجاعة انه لو كنت قد أديت القسم العسكرى وبدأت الخدمة في الجيش ، لما أنقص هذا من حبي واحترامي لك ، ذلك لأن القيمة ليست فيما يحدث في الدنيا ، بل فيما يحدث في النفس .

باريـــس : هذا طبيعي ، ذلك لأنه لو حدث شيء في النفس ، فانه سيؤدى إلى إحداث تغيير في الدنيـــا .

نيقـــلاى

ايفانفتش : ها قد قلت لك ما أريد . . ان والدتك هنا ، وحالتها المعنوية منهارة . . فاذا كنت تستطيع أن تفعل ما تطلبه منك فافعله . . هذا ما كنت أريد قوله لك .

(تسمع صيحات مجنونة في الدهليز . يندفع الضابط المريض داخلاً الحجرة ومن خلفه حارساه . يبعده الحارسان قسراً) .

ليـــوبا : هذا فظيع ! وهل ستبقى هنا ؟! (تبكى)

باريـــس : اني لا أخشى هذا . . ليس هناك ما أخشاه الآن حيث أشعر بأنني قرير العين . ان ما أخشاه حقا هو نظرتك إلى كل هذا . . وعليك أن تساعديني ، واني واثـــق من قدرتك على هذا .

ليـــوبا : وهل تريد مني أن أغتبط لهذا ؟

نيقـــلاى
ايفانفتش : عدم الاغتباط أمر غير ممكن . . اني غير مغتبط وأشعر بالمعاناة من أجله ، وكم كانت سعادتي كبيرة لو كنت أستطيع أن أكون بدلاً منه ، ولكني أعاني وأعلـــم أن هذه المعاناة تطيب للنفس .

ليـــوبا : حسناً . . حسناً . . ولكن متى سيفرجون عنه ؟

باريـــس : ما من أحد يعلم هذا . . اني لا أفكر في المستقبل . . فالحاضر يطيب لنفسى . . ويمكنك أن تجعليه أفضل .

(تدخل البرنسيسة)

المشهد العاشر

الشخصيات السابقة ، البرنسيسة

البرنسيسة : لا . . لا أستطيع الانتظار أكثر من هذا (مخاطبة نيقلاى ايفانفتش) ها . . هل أقنعته ؟ هل وافق ؟ بوريا(١) يا حبيبي . . عليك أن تفهم ما الذى علىّ أن أتحمله . . ثلاثين عاماً من حياتي وهبتها لك . . كنت أربيك

---

(١) بوريا : صيغة تدليل من اسم باريس ، المترجم .

وأفرح بك ، وحين انتهى كل شيء . . ترفض فجأة كل شيء ، ثم بعد ذلك السجن والعار . . لا . . لا يا بوريـــا !

باريـــس : ماما . . اسمعينى . .

البرنسيسة : (مخاطبة نيقلاى ايفانفتش) لم لا تقول شيئاً ؟ لقد ضيعته وعليك أن تقنعـــه . . ان هـــذا يتفق وما في نفسك . . ليوبا . . هيا حدثيه .

ليـــوبا : وما الذى يمكننى أن أفعـــــله ؟

باريـــس : ماما . . افهمينى . . هناك أشياء يستحيل تحقيقها . . يستحيل تحقيقها مثلما يستحيل على الانسان أن يطير . . ولذا فانى لا أستطيع الخدمة في الجيش .

البرنسيسة : لقد وضعت في رأسك أنك لا تستطيع . . هذا كلام فارغ . . الجميع كانوا ولا يزالون يخدمون . . اخترعت أنت ونيقلاى ايفانفتش مسيحية جديدة . . ان هذه ليست مسيحية ، ولكنها تعاليم شيطانية تجعل الجميع يعـــانون .

باريـــس : وهذا هو الذى ورد في الإنجيـــل .

البرنسيسة : لم يرد شيء من هذا فيه ، وإذا كان هناك ذكر لذلك ، فانه قول أحمق . . يا حبيبى بوريا . . ارحمنى (تلقي بنفسها على رقبته وتبكي) لم تكن حياتي كلها سوى عذاب ، وكنت أنت بصيص الفرحة الوحيد فيها . . وها أنت تحول هذا البصيص إلى عذاب . . بوريا . . ارحمنى . .

باريـــبس : ماما ان الأمر بالغ الثقل على النفس ، ولكنى لا أستطيع القول لك .

البرنسيسة : حسناً . . لا ترفض الخدمة في الجيش ، وقل انك ستفكـــر . .

نيقـــلاى

ايفانفتش : نعم قل ذلك . . قل انك ستفكر . . وفكر في الأمر . .

باريـــس : حسناً . . حسناً . . وأنت كذلك يا ماما . . أرجوك أن تشفقى عليّ ، فان الأمر صعب عليّ كذلك .

(تسمع الأصوات في الدهليز من جديد)

انى في مستشفى للمجانين ، ومن الممكن أن أجن حقاً .

المشهد الحادى عشر

الشخصيات السابقة ، الطبيب الأكبر رتبة

الطبيب

الأكبر رتبة: (وقد دخل الحجرة) : سيدتي . . من الممكن أن يؤدى هذا الى عواقب وخيمة . ان ابنك متوتر الأعصاب وأعتقد أنه من الضرورى انهاء الزيارة . . وفي أيام الخميس والأحد يمكنم الحضور لزيارته حتى الساعة الثانية عشرة ظهراً .

البرنسيسة : حسناً . . حسناً . . سأذهب . . بوريا . . إلى اللقـــاء . . فكر واشفق عليّ وأرجو أن يكون لقاء الخميس لقاء فرح وبهجـــــة . (تقبله)

نيقـــلاى

ايفانفتش : (يمد له يده مصافحاً) فكر باذن الله وكأنك ستموت

غداً لا محالة ، وعندئذ ستتخذ القرار السليم . . إلى اللقــاء : :

باريــس : (يقترب من ليوبا) وماذا ستقولين لى ؟

ليــوبا : اني لا أستطيع الكذب . . لا أفهم ما الحاجة إلى تعذيب نفسك وتعذيب الآخرين . . هذا ما لا أفهمـــه ، ولا أستطيع قول شيء (تبكى وتغادر المكان) .

المشهد الثانى عشر

باريــس وحــده

باريــس : يا لصعوبة الأمر ! يا إلهي . . ساعدني (يصلى)

(يدخل الحارسان ومعهما روب)

المشهد الثالث عشر

باريس ، الحارسان

حــارس : تفضل باستبدال ملابسك .

(يستبدل باريــس ملابسه)

— ســتار —

* * *

الفصل الرابع

موسكو . انقضى عام على أحداث الفصل الثالث ؛ صالة في بيت آل صارينتسف معدة لحفل راقص بمصاحبة البيانو . يضع الخدم الزهور أمام البيانو . تدخل ماريا ايفانفنا في فستان حريرى أنيق ومعها ألكسندرا ايفانفنا .

المشهد الأول

ماريا ايفانفنا ، ألكسندرا ايفانفنا ، الخدم

ماريا

ايفانفنا : أى حفل راقص ؟! ليس حفلاً ، بل أمسية للشباب كما كانوا يقولون فيما سبق . . انني لا أستطيع إرسال أولادى للرقص في الحفلات التي يقيمها الناس بعد ذلك . . لقد كان هناك عند آل ماكف عرضاً مسرحياً اشتركوا فيه . . يمكن القول انهم رقصوا في كل مكان ولذا يجب عليَّ أن أرد على هـذا .

ألكسندرا

ايفانفنا : أخشى أن هذا قد يثير حفيظة نيقلاى ايفانفتش .

ماريا

ايفانفنا : وما العمل ؟! (مخاطبة الخادم) ضعها هنا . . يعلم الله أنني لا أنوى عمل شيء يثير حفيظته ، ولكنى أعتقد أنه لم يعد الآن متعتنا كما كان من قبل .

ألكسندرا

ايفانفنــا : لا . . انه لا يظهر ذلك . . لقد ذهب إلى غرفته بعــد الغداء وهو منحرف المــزاج .

مــاريا

ايفانفنــا : حسناً . . وما العمل ؟ ما العمل حقاً ؟ تعلمين أنه على الجميع أن يعيشوا حياتهم . . انهم ثمانية ، وإذا لم تتح لهم فرصه المرح في البيت ، فيعلم الله بما يمكن أن يفعلوه خارجه . . انني الآن سعيدة على كل حال بأمر ليوبا .

ألكسندرا

ايفانفنــا : وهل تقدم لخطبتهـــا ؟

مــاريا

ايفانفنــا : لا يهم ما الذى فعله ، ولكن المهم أنه تحدث معهـــا وردت هى عليه بالايجــاب .

ألكسندرا

ايفانفنا : وستكون هذه ضربة موجعة أخرى بالنسبة لنيقلاى ايفانفتش

ماريا

ايفانفنا : انه يعرف . . من غير الممكن أن يتم شىء دون أن يكون على علم به .

ألكسندرا

ايفانفنا : انه لايحبه .

ماريــا

ايفانفنا : (مخاطبة الخدم) ضعوا الفاكهة على البوفية . . تقصدين

من ؟ ألكسندر ميخايلفتش؟ طبعا . . انه لايحبه لانه تجسيد لرفض كل نظرياته . انه شاب دنيوى ورقيق ، جذاب وطيب . . ما أبشع هذا الكابوس باريس تشيرمشانف ! وعلى فكرة . . ماذا حدث له ؟

ألكسندرا
ايفانفنا : لقد زارته ليزانكا . . لايزال هناك في المستشفى . . يقولون انه أصبح نحيفا جدا وان الأطباء يخشون اما على حياته واما على عقله .

ماريــا
ايفانفنا : هاهى ضحية بشعة لأفكاره . . ماهو الذى ضيع حياته من أجله ؟ لم أكن أتمنى أن يكون مصيره على هذا النحوأبدا.

(يدخل عازف البيانو)

المشهد الثانى

الشخصيات السابقة ، عازف البيانو

ماريــا
ايفانفنا : (مخاطبة العازف) أأنت الذى ستعزف للرقص ؟

عازف
البيانو : نعم . . انى عازف بيانو .

ماريــا
ايفانفنا : تفضل بالجلوس . . انتظر من فضلك . . ألاتود شرب الشاي ؟

العازف : لا . . شكرا (يتجه نحو البيانو)

اماريــا

ايفانفنا : لم أكن أتمنى على الاطلاق أن يصل حاله الى هذا انني أحب باريس ، ولكنه رغم ذلك لم يكن ليصلح زوجا لليوبا .

ولاسيما بعد ما استهوته أفكار نيقلاى ايفانفتش .

ألكسندرا

ايفانفنا : ورغم ذلك فان لديه قوة ايمان لامثيل لها . . انه لايزال يعانى . . يقولون له انه اذ لم يوافق على أداء الخدمة إما سيبقى في المستشفى وإما سيسجن في القلعة ، ولكنه يرد عليهم نفس الردود . . وتقول ليزانكا انه منشرح الصدر ، بل والأكثر من ذلك انه مرح .

ماريــا

ايفانفنا : متعصبون تعصبا أعمى ... وهاهو ألكسندر ميخايلفتش (يدخل ألكسندر ميخايلفتش ستاركوفسكى وهو يرتدى بدلة سهرة لامعة)

المشــهد الثالث

الشخصيات السابقة ، ستاركوفسكى

ستاركو

فسكى : لقد جئت مبكرا . (يقبل يد كل من السيدتين)

ماريــا

ايفانفنا : حسنا فعلت .

ستاركو
فسكى : وأين ليوبوف نيقولايفنا ؟ (١) كانت تنوى الرقص كثيرا لتعوض مافاتها ، ولقد قررت مساعدتها في هذا .

ماريـا
ايفانفنا : انها تتدرب على رقصة الكاتليون .*

ستاركو
فسكى : سأذهب لمساعدتها . أتسمحى لى ؟

ماريـا
ايفانفنا : حسنا . . اذهب اليها .

(يخرج ستاركوفسكى ويلقى ليوبا في طريقه وهى تحمل وسادة ونجوم وأشرطة)

المشـهد الرابـع

الشخصيات السابقة ، ليوبا

ليوبـا : (ترتدى فستان سهرة غير مكشوف الصدر) ها أنت . . رائع . . هياساعدنى . . هناك وسادتان كذلك في حجرة الاستقبال . . هيا بهما الى هنا . . لقد نسيت أن أحييك . . أهلا بك . . أهلا بك . .

ستاركو
فسـكى : سأحضرهما بسرعة البرق (يغادر المكان)

---

(١) يوجه السؤال منها بصيغة الاحترام ذاكرا اسمها بالكامل واسم الأب .

* رقصة الكاتليون : رقصة قديمة قريبة من الفالس .

المشـهد الخـامس

مـاريا ايفانفنا ، ألكسندرا ايفانفنا ، ليـوبا

مـاريا
ايفانفنـا : (مخاطبة ليوبا) اسمعى يا ليوبا . . سيأتي إلينا اليوم الكثير من الأصدقاء والمعارف وسوف يلمحون — ويسألون عن الخطبة . . فهل نعلنها اليوم ؟

ليـوبا : لا . . لا يا ماما . . لم ؟ فليسألوا ما طاب لهم . . ان بابا لن يسر لذلك .

مـاريا
ايفانفنـا : ولكنه إما نا يعرف حق المعرفة بأمر الخطبة واما ان يخمن ذلك . . وعلى كل حال سيتحتم علينا اخباره ان آجلاً أو عاجـلاً . . أعتقد أنه من الأفضل الاعلان عنها اليوم . . سيه ليه سكريه دى لاكوميدى(١) .

ليـوبا : لا . . لا ماما . . أرجوك . . ان هذا يعنى افساد المساء كله . . لا . . ما من حاجة إلى ذلك .

مـاريا
ايفانفنـا : إذن كما تشائين .
(يدخل ستاركوفسكى)

المشـهد السـادس

الشخصيات السابقة ، ستاركوفسكى

ليـوبا : إذن فليكن الاعلان عنها في نهاية الحفل قبل العشاء . .

(١) بالفرنسية C’est le secret de la comédie
وتعنى : انها لم تعد سرا خفيا .

ها هل جئت بالوسادتين ؟

ماريا

ايفانفنا : حسنا . . سأذهب لرؤية ناتاشا (تخرج هى وألكسندرا ايفانفنا) .

المشهد السابع

ليوبا ، ستاركوفسكى

ستاركوفسكى : (يحمل ثلاث وسائد ويسندها بذقنه ، تسقط منه أثناء الطريق وسادة) أرجوك يا ليوبوف نيقلايفنا ألا تلمسيها . . فسألتقطها أنا . . انظرى ماذا صنعت . . ينبغى أن يكون للمرء قدرة على التصرف . . تعال يا فانيا . .

المشهد الثامن

الشخصيات السابقة ، فانيا

فانيا : (يحمل وسادة هو الآخر) والآن قضى الأمر . . لقد تراهنا أنا وألكسندرا ميخايلفتش على من الذى يستحق منا وساما في اللعبة .

ستاركوفسكى : الأمر سهل بالنسبة لك ، حيث أنك تعرف الجميع هنا . . ولقد استحققت الوسام مسبقاً ، أما أنا ، فكان علىّ أن أسلب الفتيات لبهن أولاً كى أفوز بالجائزة بعد ذلك . . ولهذا فاني أحسب لصالحك أربعين نقطة مسبقاً من مجموع النقط الواجب جمعها في اللعبة .

فانيـــا : لا تنس أنك عريس ، أما أنا . . فصبي . .

ستاركو
فســكى : لا . . اني لست عريساً ، بل اني أسوأ من صبي .

ليـــوبا : فانيا . . أرجوك أن تذهب إلى غرفتي وتحضر الصمغ من على المكتب ، وكذلك وسادة ابر الخياطة الصغيرة .

(فانيـــا يتجه إلى هناك)

ولكني أستحلفك بالله ألا تحطم شيئاً هنـــاك .

فانيـــا : سأحطم كل شيء . (يجرى مسرعاً)

المشهد التاسع

ليـــوبا ، ستاركوفسكى

ستاركو
فســكى : (يمسك يدها) ليوبا . . أتسمحى لي ؟ اني في غاية السعادة (يقبل يدها) لا تنسى أن رقصة المازوركا * هى رقصتي معك ، وان كان هذا قليلاً بالنسبة لى . . فمن غير الممكن قول ما يريده المرء أثنـــاء رقصـــة المازوركا ، واني في حاجة إلى أن أقول لك الكثير . . هل أستطيع إبلاغ أهلى بأنى حزت القبـــول واني سعيد لذلك ؟

ليـــوبا : نعم . . يمكنك ذلك اليوم مساء .

ستاركو
فســكى : وهناك أمر آخر . . كيف سيتقبل نيقلاى ايفانفتش

---

* رقصة المازوركا : رقصة بولندية .

هذا ؟ هل أخبرتموه ؟ هل قلتم له ؟

ليـــوبا : لم أحدثه في هذا ، ولكنى سأخبره . . سيتقبل الأمر كما يتقبل كل ما يخص الأسرة . . سيقول لى . . تصرفي كما تشائين . . ولكنه سيكون حزيناً في قرارة نفسه .

ستاركو فســـكى : هل بسبب أنى لست تشيرمشانف ؟ أم لأننى حامل لقب كامر يونكر(١) ورئيس أعيان المنطقة ؟

ليـــوبا : نعم . . ولكني جاهدت نفسي . . كنت أخدع نفسي من أجله . . وليس الأمر في أن حبي له كان أقـــل أو في أنني لا أفعل ما يريد ، ولكن هناك سبباً واحداً أنني لا أستطيع الكذب . . وهذا ما يقوله هو نفسه . . اني أريد أن أعيش حياتي كما يجب .

ستاركو فســـكى : وهذه هي الحقيقة الوحيدة . . أقصد الحياة . . ولكن تشير مشانف هـــذا ؟

ليـــوبا : (بانفعال) لا تحدثني عنه . . اني أريد أن أعيب فيه . . وأعيب فيه وهو يعاني . . اني أعرف أن هذا يرجع إلى أنني مذنبة في حقه ، ولكني أعرف شيئاً واحداً فقط هو أنه يوجد حب . . وحب حقيقي . . حب لم أكن أشعر بمثله نحـــوه .

---

(١) كامر يونكر : اصغر لقب كان يمنح فى روسيا القيصرية للنبلاء ليتيح لهم المشاركة فى كل ما يتخذه البلاط من مظاهر احتفالية وغير ذلـــك مـــن اجراءات • اما رئيس الاعيان فهو من يتولى حل النزاعات بيـــن المـــلاك والفلاحين ، المترجم •

ستاركو

فسـكى : حقاً يا ليوبا ؟

ليـوبا : تريد أن أقول لك انى أحبك هذا الحب الحقيقى ، ولكنى لن أقول . . حسناً . . اني أحبك يـا ألكسندر ميخيالفتـش . .

ستاركو

فسـكى : يا ألكسندر ميخيايلفتش ! ولم هذه الرسميات ؟

ليـوبا : حسناً . . أحبك دون رسميات . . أحبك حباً آخر . . حباً ليس ذاك . . وليس هذا . . يا حبذا لو خلطنا هذا بـذاك . .

ستاركو

فسـكى : لا . . اني قانع بحبي الذى اخترتيه (يقبل يدها) ليوبا

ليـوبا : (تبعده جانباً) لا . . هيا نتدرب على الرقصة . . ثم ها هم الضيوف بدأوا يتوافدون .

(تدخل البرنسيسة وتونيا وصبية صغيرة)

المشهد العاشر

الشخصيات السابقة ، البرنسيسة ، تونيا ، الصبية

ليـوبا : سرعان ما ستأتي ماما .

البرنسيسة : هل نحن أول من حضر ؟

ستاركو

فسـكى : يجب أن يكون هناك أول من يحضر . . ولقد اقترحت تقديم عروسة من المطاط لأول من يحضر .

(يدخل ستيوبا ثم فانيا حاملا العروسة)

المشهد الحادى عشر

الشخصيات السابقة ، ستيوبا ، فانيا

ستيوبا : كنت أتوقع رؤيتك بالأمس عند الايطاليين .

تونيا : كنا عند خالتي تخيط الملابس للفقراء .

(تدخل مجموعة من الطلبة والسيدات ، ماريا ايفانيفنا ، الكونتيسة) .

المشهد الثانى عشر

الشخصيات السابقة ، ماريا ايفانفنا ، الكونتيسة ، الطلبة ، السيدات . .

الكونتيسة : ألن نرى نيقلاى ايفانفتش ؟

ماريا
ايفانفنا : لا . . انه لا يغادر غرفته على الاطلاق .

ستاركو
فسكى : لنبدأ برقصة الكادريل من فضلكم (يصفق بيديه مع النغم) .

(يصطف الحاضرون للرقص ثم يبدأون)

ألكسندرا
ايفانفنا : (تقترب من ماريا ايفانفنا) انه في حالة من القلق الشديد . . لقد كان في زيارة لباريس ألكسندر فتش ثم عاد . . ورأى الحفل ، ويريد الرحيل . . لقد

اقتربت من باب غرفته ، وسمعت حديثه مع ألكسندر بتروفتـــش .

مـــاريا

ايفانفنـــا : وماذا كان يقـــول ؟

ستاركو

فســـكى : روند دى دام ! لا كافاليه أونافا(١) .

ألكسندرا

ايفانفنـــا : لقد قرر أنه يستحيل العيش هكذا بعد ذلك واعتزم الرحيل من البيت .

مـــاريا

ايفانفنـــا : لم كل هذا العذاب من هذا الرجل ؟ (تغادر المكان) يتغير المنظر . غرفـــة نيقلاى ايفانفتش . يصل إلى الاسماع صوت الموسيقى من بعيد . نيقـــلاى ايفانفتش يرتدى معطفه ، ويضع رسالة على المكتب . معه في الغرفة ألكسندر بتروفتش — وهو شخص ممزق الثياب

المشهد الاول

ألكسندر

بتروفتش : لا تقلق ولا تشغل بالك . . سنسافر إلى القوقاز دون مليم واحد . . وهناك يمكنك ايجاد عمـــــل .

نيقـــلاى

ايفانفتش : سنسافر إلى تولا (*) أولاً ، ومن هناك سنتجه إلى

---

(١) بالفرنسية Rond des dames! les cavaliers en avant
وتعنى : فلتقف السيدات والآنسات فى دائرة وليتقدم الرجال الى الامام .

* تولا : مدينة على بعد حوالى ٢٠٠ كيلومتر جنوب موسكو .

حيث نريد . . ها . . كل شيء جاهز الآن (يضع الرسالة على المكتب ويهم بالخروج ، فيلقى ماريا ايفانفنا في طريقه)

المشهد الثاني

نيقلاى ايفانفتش ، ألكسندر بتروفتش ، ماريا ايفانفنا

نيقلاى ايفانفتش : ما الذى جعلك تأتين الى هنا ؟

ماريا يفانفنا : كيف ما الذى جعلني آتي الى هنا ؟! جئت كيلا أدعك تقوم بعمل مشوب بالقسوة . . لم هذا التصرف ؟ ما سبب هذا ؟

نيقلاى ابفانفتش : تسألين . . لم ؟ لأنني لا أستطيع الاستمرار في الحياة على هذا النحو . . لا أستطيع تحمل هذه الحياة الفظيعة الفاسدة .

ماريا ايفانفنا : ولكن وصفك للحياة هذا وصف مؤلم . . حياتي التي وهبتها كلها لك ولأولادنا تصبح فجأة فاسدة (ترى ألكسندر بتروفتش) رنفوييه أو مواسيت أوم . جي نفيه باكيل سوا تيموا دى ست كونفر ساسيون(١)

---

(١) بالفرنسية Renvoyer au moins cet homme Le ne veux pas qu'il soit témoin de cette conversation

وتعنى : اقل ما يجب هو ان تخرج هذا الرجل • انى لا اريد ان يكون شاهدا هذا الحديث •

ألكسندر بتروفتش : كومبرنيه . توجو موا بارتيه(٢)

نيقــلاى
ايفانفتش : انتظرني هناك يا ألكسندر بتروفتش . : سأوافيك حالاً

(يغادر ألكسندر بتروفتش المـــكان)

المشهد الثالث

نيقلاى ايفانفتش ، ماريا ايفانفنــا

مــاريا
ايفانفنــا : ما الذى يمكن أن يجمعك بمثل هذا الرجل ؟ ولم هو أقرب إليك من زوجتك ؟ هذا أمر غير مفهوم بالمرة . . الى أين أنت ذاهب ؟

نيقــلاى
ايفانفتش : لقد تركت لك رسالة لأننى لم أكن أريد الكلام . . ان الأمر بالــغ الثقــل على النفس ، ولكن إذا كنت ترغبين ، فانني سأحاول أن أقول لك ما في رأسى بهـــدوء .

مــاريا
ايفانفنــا : لا . . لا أستطيع فهم السبب الذى يجعلك تكره زوجتك وتقضى عليها . . زوجتك التى وهبتك كل شىء ! قل لى . . هل رأيتنى أذهب إلى حفلات الرقص أو أرتدى الثياب الفخمة أو أعمل الدلال مع أحد ؟ لقد كرست حياتي كلها للأسرة . . كنت أطعم الجميع . .

---

(٢) بالفرنسية : ولقد وردت فى النص بالكتابة الصوتية الروسية وتعنــى : مفهوم .. ساخرج حالا .

وربيت الجميـــع . . وفي العام الأخير تحملت وحدى عبء التربية وإدارة شئون الأسرة كلها . . .

نيقـــلاى ايفانفتش : (مقاطعاً) ان العبء كله وقع عليك لأنك رفضت العيش كما اقترحت عليك .

مـــاريا ايفانفنـــا : ولكن ما اقترحته غير ممكن . . لك أن تسأل الناس جميعاً . . يستحيل ترك الأولاد دون تعليم . . ثم كيف تقتصر مهمتى على الغسيل والطبخ فقط .

نيقـــلاى ايفانفتش : لم أطلب منك ذلك فى أى وقت من الأوقات .

مـــاريا ايفانفنـــا : لقد طلبت شيئاً من هذا القبيل . . لا . . انك مسيحى . وتريد عمل الخير ، وتقول انك تحب الناس . . اذن لم تقضى على الزوجة التى وهبتك كل حياتها ؟

نيقـــلاى ايفانفتش : وبم أقضى عليها ؟ اني أحبها ولكن . . .

مـــاريا ايفانفنـــا : كيف بم تقضى عليها ؟! كيف ذلك إذا كنت ستهجرني وترحل ؟ ماذا يقول الناس ؟ قول من اثنين . . اما انني امرأة سيئة ، واما انك مجنـــون .

نيقـــلاى ايفانفتش : حسناً . . فلأكن مجنونا . . اني لا أستطيع العيش هكذا .

ماريا

ايفانفنا : ما هو الخطأ الذى ارتكبته هنا ؟ . . اننى طوال الشتاء كله لم أقم أية حفلة . . وكل هذا بسبب خوفي من أن هذا سيحز فى نفسك . . ثم أية حفلة هنا ؟ . . لك أن تسأل مانيا وفارفارا فاسيليفنا . . الجميع يقولون انه من غير ذلك يستحيل الأمر وان هذا ضرورى . . وهل هذه جريمة ؟ وما الذى فعلته كى أتحمل الخزى والعار ؟ دل ولا يقف الأمر عند العار وحده . . فالأهم منه هو أنك لم تعد تحبنى الآن . . انك تحب العالم كله . . وتحب ألكسندر بتروفتش السكير . . أما أنا ، وبرغم ذلك أحبك ولا أستطيع العيش بدونك . . لم كل هذا ؟ لم كل هذا ؟ (تبكى) . .

نيقلاى

ايفانفتش : ولكنك لا تريدين فهم حياتي . . حياتي الروحية . .

ماريا

ايفانفنا : أريد أن أفهمها ، ولكنى لا أستطيع . . انى أرى أن مسيحيتك هذه جعلتك تكره أسرتك وتكرهنى . . وما السبب ؟ لست أدرى . .

نيقلاى

ايفانفتش : ولكن الآخرين يفهمونى .

ماريا

ايفانفنا : من ؟ ألكسندر بتروفتش الذى يستجدى منك النقود ؟

نيقلاى

ايفانفتش : هو وغيره . . وتونيا وفاسيلى نيكانور فتش . . كما ان

الأمر سيان بالنسبة لي . . لو لم يكن أحد يفهمني ، لما غير هذا من الأمر شيئاً .

ماريا

ايفانفنا : لقد تاب فاسيلى نيكانورفتش وعاد إلى الكنيسة ، وها هي تونيا ترقص الآن وتعمل الدلال مع ستيوبا . .

نيقلاى

ايفانفتش : هذا أمر مؤسف . . ولكن هذا لا يمكن أن يجعل من الاسود أبيض . . لا يمكن أن يغير حياتي . . ماشا . . انك لست بحاجة إلىّ . . دعيني أذهب . . لقد حاولت مشاركتكم حياتكم واضفاء ما يشكل أساس حياتي كلها عليها ولكن وجدت هذا غير ممكن . . والنتيجة أنني بهذا أعذبكم وأعذب نفسي . . انني لا أعذب نفسي فقط ، بل أمحو ما أفعله كذلك . وعلى هذا فان أى شخص ، ولنقل ألكسندر بتروفتش هذا ، يحق له القول اني مخادع . وانني أقول ولا أفعل ، وانني أنادى بانجيل الفقراء في الوقت الذى أعيش فيه في ترف بحجة أنني أعطيت زوجتي كل شيء . .

ماريا

ايفانفنا : ولذلك فانك تشعر بالخجل من الناس ؟ ألا تستطيع أن تسمو عن هذا ؟

نيقلاى

ايفانفتش : لا أشعر بالخجل ، ولكن الأمر مخجل حقاً ، إذ أنني أهدر التعاليم الالهية .

ماريا
ايفانفنا : واكنك قلت بنفسك ان التعاليم الالهية تتحقق رغم مقاومتنا لها . . ولكن هذا ليس جوهر الموضوع . . قل لي . . ما الذى تريده منى ؟

نيقلاى
ايفانفتش : لقد سبق أن قلت لك .

ماريا
ايفانفنا : ولكنك تعلم ، يا نيقولا ، تمام العلم . . أن ما تريده غير ممكن . . أرجو أن تفكر في الأمر . . فها هى ليوبا على وشك الزواج ، وفانيا التحق بالجامعة وميشا وكاتيا يدرسان بالمدرسة . . كيف إذن يمكن نسف كل هذا ؟

نيقلاى
ايفانفتش : إذن . . ما الذى علىّ أن أعمله ؟

ماريا
ايفانفنا : عليك أن تعمل بما تنادى به . . الصبر والحب . . هل هذا صعب عليك ؟ ما عليك إلا أن تتحملنا ، ولا تحرمنا منك . . ها . . ما الذى يحيرك ؟

(يدخل فانيا جرياً)

المشهد الرابع

الشخصيات السابقة ، فانيا

فانيا : ماما . . انهم يستدعونك هناك .

مــاريا
ايفانفنــا : قل لهم اني لا أستطيع .
فانيــا : هيا إلى هناك . . (يغادر المكان)

المشهد الخامس

نيقلاى ايفانفتش ، مــاريا ايفانفنــا

نيقــلاى
ايفانفتش : انك لا تريدين رؤية ما بداخلى وفهمــــه .
مــاريا
ايفانفنــا : الأمر ليس أننى لا أريد ، بل لا أستطيع ذلك .
نيقــلاى
ايفانفتش : لا . . انك لا تريدين فهمى ، ولذا تزداد الفجوة بيننا أكثر فأكثر . . عليك أن تتغلغلى إلى أعماقي ، وانتقلى إلى عالمى لحظة . . وعندئذ ستفهمين . . أولاً . . الحياة هنا كلها فاسدة . . ان هذه الكلمة تثــير غضبك ، ولكنى لا أستطيع ايجاد وصف آخر للحياة المبنية كلها على النهب ، ذلك لأن النقود التى تعيشون عليها . . هى نقود من الأرض التى تنهبونها لدى الناس . . وعلاوة على ذلك . . اني أرى أن هذه الحياة تفسد الأولاد . . والويل لمن يغوى أحد الصغار . كما جاء في الانجيل . . وها أنا أرى كيف يضيع الأولاد ويفسدون أمــــام عينى . . كما لا أستطيع رؤية هؤلاء الكبار البالغين يرتدون ملابس السهرة ويقومون بخدمتنا . . ان كل غداء حول المائدة يبعث فيّ معاناة لا حد لها .

ماريا

ايفانفنا : ولكن هذا هو العرف الذى كان متبعاً فيما سبق . . كما أنه العرف الآن لدى الجميع سواء هنا أو في الخارج . . في كل مكان . .

نيقلاى

ايفانفتش : اني لا أستطيع هذا بعدما أدركت أننا جميعاً أخوة . . اني لم أعد أستطيع غض النظر عن هذا ، كما لا أستطيع عدم المعاناة .

ماريا

ايفانفنا : انك أنت الذى تريد رؤية الأمر على هذا النحو . . فمن الممكن أن يتخيل المرء أى شيء . .

نيقلاى

ايفانفتش : (محتدا) ان عدم الفهم هذا فظيع . . ولنأخذ مثلا اليوم . . كنت صباح اليوم في بيت رجانف الذى يأوى المشردين ، ولقد رأيت بعيني كيف مات طفل هناك من الجوع ، وكيف أصبح صبي صغير مدمنا للخمر ، وكيف ذهبت غسالة مصابة بالسل لتغسل الملابس ، ثم جئت الى البيت ، فيفتح لى الباب خادم يرتدى رباط عنق أبيض ، ورأيت كيف يطلب ابنى . . الصبي الذى لم يشب بعد عن الطوق . . يطلب من هذا الخادم أن يحضر له ماء . . ورأيت هذا الجيش من الخدم الذين يعملون على خدمتنا . . وبعد ذلك ذهبت الى باريس . . هذا الانسان الذى يدافع عن الحقيقة بحياته . . ورأيت كيف يعملون على أن يوصلوا هذا الانسان الطاهر

القوى الراسخ الايمان الى الجنون أو الموت كي يتخلصوا منه . . انى أعرف ، كما يعرفون هم كذلك ، أنه مريض بالقلب ، ورغم ذلك يعملون على اثارته والزج به في قسم المجانين . . لا . . هذا أمر بشع . . فظيع . . ثم أعود الى البيت وأعلم أن الابنة الوحيدة في اسرتنا ، والتى كانت تفهم . . لاأقصد تفهمنى أنا ، بل كانت تفهم الحقيقة . . أعلم أنها تخلت في آن واحد عن خطيبها الذى وعدته الحب وعن الحقيقة كذلك . . وأنهاستتزوج هذا الخادم . . الكاذب . . .

ماريـــا

ايفانفنـــا : وكيف تقيم هذه الألفاظ من وجهة النظر المسيحية ؟ !

نيقـــلاى

ايفانفتش : معك حق . . انها ألفاظ بذيئة وأعترف بخطئى . . ولكن ماأريده وحسب هو أن تتنقلى لتعيشى عالمى . . لاأقصد سوى أنها تخلت عن الحقيقة . . .

ماريـــا

ايفانفنا : أنت تقول انها تخلت عن الحقيقة ، أما الآخرون ، بل الغالبية ، يقولون انها تخلت عن الضلالة . . وهاهو فاسيلى نيكانورفتش كذلك اعتقد أنه ضل ، ولذا عاد الآن الى الكنيسة .

نيقـــلاى

ايفانفتش : غير معقول هذا بالمرة !

ماريـــا

ايفانفنا : لقد كتب رسالة الى ليزانكا . . وسوف تريك اياها . . ان كل هذا أمر واه غير راسخ الدعائم . . وهاهى تونيا تتخلى عنه هى الأخرى . . ناهيك عن ألكسندر بتروفتش هذا ، الذى لايجد سوى المنفعة من وراء هذا الأمر .

نيقـــلاي

ايفانفتش : (بغضب) : الامر سيان بالنسبة لي . . لااطلب الا فهمي . . انى أرى الحقيقة حقيقة رغم كل ذلك . . ان الألم يعتصر قلبي . . وهنا في البيت أرى حين أدخله ،شجرة عيد الميلاد ، وحفلة رقص ، ومئات الروبلات التى تنفق . . في الوقت الذى يموت فيه الناس من الجوع . . انى لاأستطيع العيش على هذا النحو . . أرجوك أن تشفقى على ، فقد انهك العذاب روحى . . دعينى أذهب . . وداعا . .

ماريـــا

ايفانفنا : اذا كنت سترحل عن البيت ، فانى راحلة معك . . واذا لم يكن معك فسألقى بنفسى تحت عجلات القطار الذى ستسافر به . . وليضيعوا جميعا . . وميشا وكاتيا . . ياربى ! ياربى ! ياله من عذاب هذا . . لم هذا العذاب . . لم هذا العذاب ياربى ؟ ! (تبكى)

نيقــلاى

ايفانفتش : (عند الباب) ألكسندر بتروفتش .. اذهب أنت الى بيتك .. لن أرحل .. سأبقى .. أفهمت ؟ (يخلع ملابسه)

ماريــا

ايفانفنا : (تحتضنه) لم يبق من حياتنا الكثير لنعيشه .. لن نفسد حياتنا بعد ثمانية وعشرين عاما .. حسنا .. لن أقيم حفلات ، ولكن لا تجازينى بعقابى .

المشهد السادس

الشخصيات السابقة ، فانيا ، كاتيا

فانياو كاتيا : (يدخلان جريا) ماما .. هيا بسرعة .

ماريــا .

ايفانفنا : انى قادمة . قادمة .. سوف يصفح كل منا عن الآخر . (تغادر المكان)

المشــهد السابــع

نيقلاى ايفانفتش وحده

نيقــلاى

ايفانفتش : انها طفلة .. طفلة حقيقية .. أوامرأة داهية .. نعم .. انها طفله داهية .. هكذا حقا .. هذا واضح .. انك لاتريدين أن أصبح مشاركا لك في شؤونك .. وتريدين أن أصبح ذليلا .. يشيرون الى بالبنان .. هذا الذى يقول ولايفعل .. حسنا .. وليكن ذلك .. انكتعلمين

جيدا ماذا تريدين . . ان هذه استكانة وهوس دينى في رأيك . . ياحبذا لو وصل بى الأمر الى هذا !

(تدخل ليزانكا)

المشــهد الثامن

نيقلاى ايفانفتش ، ليزانكا

ليزانكا : أرجو المعذرة . . انى أحمل اليك رسالة من فاسيلى نيكانورفتش . . لقد كتب الرسالة لى ، ولكنه طلب ابلاغك بها .

نيقــــلاى

ايفانفتش : أحقا ماسمعته ؟

ليزانكا : نعم . . هل أقرأها لك ؟

نيقــــلاى

ايفانفتش : اقرأيها من فضلك .

ليزانكا : (تقرأ الرسالة) أكتب اليك برجاء ابلاغ نيقلاى ايفانفتش بهذا . انى أشعر بندم بالغ على الضلالة التى جعلتنى أرتد عن الكنيسة الارثودكسية الروسية المقدسة وانى سعيد الآن برجوعى اليها . . أرجو لك ولنيقلاى ايفانفتش نفس الأمر . . أرجو معذرتى . »

نيقــــلاى

ايفانفتش : لقد أعيوا روحه المسكين . . ولكن هذا فظيع رغم ذلك .

ليزانكا : كما جئت كذلك لأقول لك ان البرنسيسة جاءتنى بأعلى وهى في حالة من التوتر العصبى الشديد وتريد رؤيتك

بكل تصميم . . لقد كانت عند ابنها . . وأعتقد أنه من الأفضل عدم لقائها . . ماالذى يمكن أن تخرج به من لقائها بك ؟

نيقـــلاى ايافانفتش : لا . . استدعها . . من الواضح أن اليوم يوم عصيب مشحون بالمحن .

ليزانكا : (وهى تغادر المكان) حسنا . . سأستدعيها .

المشهد التاسع

نيقلاى ايفانفتش وحده

نيقـــلاى ايفانفتش : يارب . . المهم ألا أغفل عن أن الحياة ليست سوى عبادة لك . . ولاأغفل عن أنه اذا كنت ترسل المحن ، فلأنك ترانى قادرا على تحملها ، وأنها تتفق وقواى . . ولولا ذلك لما كانت محنا لاختبار قدرة الانسان . . ربى . . ساعدنى . . أعني أن أنفذ ارادتك أنت ، لا ارادتى . .

(تدخل البرنسيسة)

المشهد العاشر

نيقلاى ايفانفتش ، البرنسيسة

البرنسيسة : أخيرا تفضلت واستقبلتنى . . منحتنى هذا الشرف العظيم . . لن أمد لك يدى لمصافحتك ، لأننى أكرهك وأحتقرك .

نيقـــلاى

ايفانفتش : وما الذى حدث ؟

البرنسيسة : حدث أنهم سيرسلونه إلى كتيبة التأديب . . وأنت الذى فعلت به هذا .

نيقـــلاى

ايفانفتش : يابرنسيسة . . اذا كنت تحتاجين الى شيء ، فقولى . . ولكن اذا كنت لاتريدين الا سبّي ، فان هذا سيعود بالضرر عليك وحدك . . انك لاتستطيعين اهانتى لأننى أشاركك شعورك بكل قلبى وأشفق عليك . .

البرنسيسة : يالها من رحمة هذه ! ياله من سمو للروح المسيحية ! لا . . ياسيد صارينتسف . . انك لن تخدعنى . . انا نعرفك جيدا الآن . . لقد ضيعت حياة ولدى ، وهذا سيان بالنسبة لك . . وهاأنت هنا تقيم الحفلات الراقصة . . ثم هاهى خطيبة ابنى . . ابنتك . . تستعد للزواج . . تختار زوجا لها يدخل البهجة في نفسك . . وها أنت هنا تتظاهر بالبساطة وتشتغل بالنجارة . . كم تثير الاشمئزاز في نفسى بنفاقك الجديد هذا !

نيقـــلاى

ايفانفتش : يابرنسيسة . . هدئى نفسك . . قولى ماالذى تحتاجينه . فانك قد جئت لا لكي تسبيني فقط .

البرنسيسة : لقد جئت لهذا كذلك . . أريد التنفيس عما يوجعنى . . ان ما أطلبه هو . . أنهم ينقلونه الى كتيبة التأديب . . ولن أتحمل هذا . . وأنت الذى أوصلته الى هذا المصير . . أنت الذى فعلت به ذلك . . أنت . . أنت . . أنت !

نيقـــلاى

ايفانفتش : لست أنا الذى فعلت به ذلك ، بل الرب . . ويرى الرب كم أشفق عليك . . تعارضى ارادة الرب ، فانه يريد امتحانك ، ولذا ينبغى تحمل المحنة باذعان .

البرنسيسة : لاأستطيع التحمل باذعان . . ان ابنى الوحيد كان كل حياتي ، ثم انتزعته مني انت وضيعت حياته .. لا استطيع البقاء ساكنة أمام كل هذا . . لقد جئت لك . . انها آخر محاولة للقول لك . . أنت الذى ضيعت حياته وأنت الذى يجب أن تنقذه . . اذهب اليهم واعمل على أن يطلقوا سراحه . . اذهب الى رئاسته . . إلى القيصر . . الى من تريد . . المهم . . أنه يتحتم عليك القيام بذلك . . واذا لم تفعل ذلك ، فانى أعرف ماالذى سأفعله . . سيكلفك هذا ثمنا فادحا .

نيقـــلاى

ايفانفتش : قولي لي ماالذى يجب على أن أفعله واني مستعد لعمل أي شيء .

البرنسيسة : أقول لك مرة أخرى . . يجب عليك انقاذه . . واذا لم تنقذه ، فسوف ترى ! وداعا ! (تغادر المكان)

المشهد الحادى عشر

نيقلاى ايفانفتش وحده

يرقد نيقلاى ايفانفتش على كنبة . فترة صمت . يفتح الباب . وتزداد الموسيقى صدحا للحن رقصة جروسفاتر (١) . يدخل سيوبا

---

(١) رقصة المانية قديمة ، المترجم .

المشهد الثانى عشر

نيقلاى ايفانفتش ، ستيوبا

ستيوبا : بابا ليس هنا . . هيا ادخلوا .

(يدخل المدعوون أزواجا تضم الكبار والصغار)

المشهد الثالث عشر

نيقلاى ايفانفتش ، ستيوبا ، صف الراقصين

ليــوبا : (ترى أباها) : آ . . أنت هنا . . معذرة .

نيقــلاى

ايفانفتش : (ينهض) : لاعليك .

(يمر صف الراقصين)

المشهد الرابع عشر

نيقلاى ايفانفتش وحده

نيقــلاى

ايفانفتش : لقد عاد فاسيلى نيكانورفتش الى الكنيسة . . وأضعت حياة باريس . . وليوبا تستعد للزواج . . هاه أنا في ضلال ؟ هل ضللت في أننى أومن بك ياربى ؟ لا . . يارب . . أعنّى !

ســــــتار

فهرست

ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيـــة
١	ـ مانويل جاليتش	● سمك عسير الهضم
٢	ـ جان انوى	● القبرة (جـان دارك)
٣	ـهـال بورتر	● البرج
٤	ـ تســاو يـو	● عاصفة الرعد
٥	ـ هارولـد بنتر	١ ـ الخـادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة او عرض الازياء
٦	ـ جـون وبستر	● الشيطانة البيضاء
٧	ـ تيرانس راتيجـان	● الاسكندر المقدونى او قصة مغامرة
٨	ـ تييري مونييـه	● سباق الملوك
٩	ـ جون مورتيمر	● استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	ـ فريدريش دونيمات	● النيـــازك
١١	ـ يونسكو ـ داموف ـ ارابال البـــي	● دراما اللامعقول
١/١٢	ـ أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليـــا ٢ ـ الاب
١٣	ـ نيقوس كازندزاكى	● عطيل يعـود
١٤	ـ بيتر فايس	● أنشودة أنجولا
١٥	ـ اوليفر جولد سميث	● تواضعت فظفرت
١/١٦	ـ موليـــير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرســة الزوجات ● ارتجاليـة فرســاي
١٧	ـ دوجلاس ستيوارت	عسكر ولصوص اوتيد كيللي
١٨	ـ وليم شكسبير	● العـين بالعـين
١/١٩	ـ أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢ ● الطريق الى دمشق ـ ثلاثية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠	رومان رولان	● ١٤ يوليو
٢١	انجس ويلسون	● شجرة التوت
٢٢	تيرانس راتجان	● روس او لورانس العرب
٢٣	كارون دي بومارشيه	● حلاق اشبيلية
٢٤	وليم شكسبير	● هاملت
٢٥	نويل كوارد	● الحياة الشخصية
١/٢٦	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ١
		● نساء تراخيس
١/٢٧	جبريل مارس	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ١
		١ ـ رجل الله
		٢ ـ القلوب النهمة
٢٨	انريكي خارديل بونثلا	● ليلة ساهرة من ليالي الربيع
٢/٢٩	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢
		١ ـ الاقوى
		٢ ـ الرباط
		٣ ـ الجرائم
		٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠	بيتر شافر	● اصطياد الشمس
١/٣١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ١
		١ ـ حكاية فاسكو
		٢ ـ السيد بوبل
٣٢	هـ. و. فيرمان	● انتصار حورس
١/٣٣	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برنارد شو ـ ١
		١ ـ بيوت الارامل
		٢ ـ الصابئ
٣٤	فرناندو أرابال	● ثلاث مسرحيات طليعية
		١ ـ قرافة السيارات
		٢ ـ فاندو وليز
		٣ ـ الشجرة المقدسة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيـــة
٣/٣٥	سوفوكـــل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٣ ١ ـ اوديب الملـــك ٢ ـ اوديب في كولـــون ٣ ـ اليكتـــرا
١/٣٦	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ١ ١ ـ اليكتـــرا ٢ ـ لن تقع حرب طروادة
١/٣٧	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ١ ١ ـ المغنيـــة الصلعـــاء ٢ ـ الـــدرس ٣ ـ جـــاك او الامتثـــال ٤ ـ المستقبل فى البيض ٥ ـ الكراسي
٣٨	كوبر ـ تشيرشل ـ شارب ـ مـــانج	● مسرحيات اذاعيـــة
٢/٣٩	جبريـــل مارســـل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢ ١ ـ رومـــا لم تعـــد في رومـــا ٢ ـ المحراب المضيء أو (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخـــوف	١ ـ شيطـــان الغابـــة ٢ ـ الخـــال فانيـــا
٢/٤١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢ ١ ـ مهـــاجر بريسبـــان ٢ ـ البنفســـج
١/٤٢	لويجي بيرنـــدلو	(من الاعمال المختارة) لويجي بيرندلو ـ ١ ١ ـ ديانـــا والمثـــال ٢ ـ الحيـــاة عطـــاء ٣ ـ لـــذة الامانـــة
٤٣	جيمس جويس	١ ـ ستيفـــن ((د)) ٢ ـ منفيون

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيــــة
٤/٤٤	ـ أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٤
		١ ـ الفرمـــاء
		٢ ـ الامــيرة البيضـــاء
		٣ ـ عيـــد الفصـــح
٣/٤٥	ـ سوفوكـــل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٣
		١ ـ انتيجونـــة
		٢ ـ اجاكس
		٣ ـ فيلوكتيت
٣/٤٦	ـ جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيردو ـ ٢
		١ ـ ســدوم وعمورة
		٢ ـ مجنونة شايـــو
٣/٤٧	ـ يوجــين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢
		١ ـ ضحايـــا الواجب
		٢ ـ مرتجلـــة المـــا
		٣ ـ سفـــاح بـــلا كراء
٢/٤٨	ـ جبرييـــل مارســـل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ٣
		١ ـ طريق القمـــة
		٢ ـ العالـــم المكســـور
٤٩	ـ البي شيزجـــال	١ ـ الحلم الامريكي
		٢ ـ الطابعان على الآلـــة
٥٠	ـ ارمان سالاكرو	١ ـ الارض كرويـــة
٢/٥١	ـ جورج برنارد شـــو	(من الاعمال المختارة) جورج برنارد شو ـ ٢
		١ ـ الســـلاح والانســـان
		٢ ـ كانديـــدا
		٣ ـ رجـــل المقادير
٥٢	ـ هارولـد بنتر	● الحـــارس
٥٣	ـ مارتنيس دي لاروزا	● ابن أمية أو ثورة الموريسكيين
٥٤	ـ وليم شكسبير	● مأساة كريولانس
٥٥	ـ انطونيو بويرو بايبخو	● القصة المزدوجة للدكتور بالمي
٥٦	ـ يوربيديس	● الكتـــرا
		● اورستيس

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيـــة
٥٧	فيكتور هيجو	● هرناني
٥٨	ليـو تولستوي	● المستنيرون
٣/٥٩	موليـير	(من الاعمال المختارة) موليـير - ٢ ١ - سجاناريـل ٢ - المتحذلقات المضحكـات ٣ - مدرسـة الازواج ٤ - الطبيب الطـائر ٥ - غـيرة الباربوييـه
٦٠	روبرت شيروود	● الطريق الى رومـا
٦١	فيليب بـاري	● المهرجـون ● قصة فيلادلفيـا
٦٣	ماكس فرش	● قصـة حيـاه
٦٣	جـون جـي	● اوبرا الصعلـوك
٦٤	دنيس ديدرو	● الابـن الطبيعى
٥/٦٥	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ٥ ١ - رقصـة المـوت ٢ - الطريـق الكبـير
٦٦	وليم ساروبان	١ - أيـام العمـر ٢ - سكـان الكهـف
٦٧	اندريه سديد	١ - العـارض ٢ - برنس المصريـة
٢/٦٨	لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) بيرندلو - ٢ ١ - المعصره ٢ - اداء الادوار ٣- ابو زهرة بفمه
٦٩	البـير كامي	حالـة طواريء
١/٧٠	برتولت برشت	(من الاعمال المختاره) برتولت برشت - ١ ١ - حياه جاالليو ٢ - طبـول فى الليـل
٧١	جراهـام جرين	● غرفـة المعيشـة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيـــــة
٢/٧٢	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٣
		١ ـ المستاجر الجديـــد
		٢ ـ اللوحـــة
		٣ ـ الخرتيت
٢/٧٣	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢
		١ ـ السفـــر
		٢ ـ سهـــرة الامثـــال
٧٤	ثورنتون وايلـــدر	● نجونا باعجوبة
٢/٧٥	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) جورج برنارد شو ـ ٢
		١ ـ تلميـــذ الشيطان
		٢ ـ هدايـــة القبطان براسباوند
٧٦	وليـــم شكسبيـــر	● الملـــك لـــير
٧٧	وول شوينكـــا	● الطريـــق
٧٨	الكسي اربوزف	● عزيزي مارات المسكين
٧٩	هوجو فون هوفمانزتال	● زفـاف زبيـــدة
١/٨٠	جـــون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ـ ١
		١ ـ ميـــاه بابـــل
		٢ ـ رقصـــة العريف
٨١	رومـــان رولان	● روبسبير
٨٢	سنكـــا	● أودـــب
١/٨٣	يوجين اونيـــل	(من الاعمال المختارة) يوجين أونيل ـ ١
		١ ـ ظمـــأ
		٢ ـ عبودية
		٣ ـ ضبـــاب
		٤ ـ مبحرون شرقا الى كارديف
		٥ ـ في المنطقة
		٦ ـ بـــدر على البحر الكاريبي
٨٤	جان كوكتـــو	١ ـ فرســـان المائـــدة المستديرة
		٢ ـ الأبنـــاء الاشقيـــاء
٨٥	تيرانس راتيجـــان	١ ـ تلم الفرنسية بلا دموع
		٢ ـ الممر المضيء

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٨٦	فديريكو غرسيا لوركا	● العرس الدموي
٨٧	كالدرون دي لاباركا	● الحياة حلم
٨٨	وليم شكسبير	● يوليوس قيصر
٨٩	يوريبيديس	١ ـ الفينيقيات
		٢ ـ المستجيرات
٩٠	الكسندر استروفسكي	● لكل عالم هفوة
١/٩١	جون مليئجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ـ١
		١ ـ ظل الوادي
		٢ ـ الراكبون الى البحر
		٣ ـ زفاف السمكري
		٤ ـ بئر القديسين
٢/٩٢	جون ميلنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ـ٢
		١ ـ فتى الغرب المدلل
		٢ ـ ديردرا فتاة الاحزان
		٣ ـ عندما غاب القمر
٩٣	آثر ميللر	١ ـ كلهم ابنائي
		٢ ـ الثمن
٢/٩٤	برنولت برشت	(من الاعمال المختارة) برنولت برشت ـ ٢
		١ ـ اوبرا القروش الثلاثة
		٢ ـ لوكلوس
		٣ ـ بعل
٩٥	وليم شكسبير	● تيمون الاليني
٩٦	كارلو جولدوني	● خادم سيدين
٩٧	اوجين لابيش	● رحلة السيد بريشون
٤/٩٨	لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٤
		● فتاة في سن الزواج
		● مشاجرة رباعية
		● تخريف ثنائي
		● الثغرة
		● لعبة الموت

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيـــــة
٣/٩٩	ـ لويجي بيرندلــــو	(من الاعمال المختارة) لويجي بيرندلو ـ ٢
		١ ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف
		٢ ـ كل شيـخ لــه طريقـــة
		٣ ـ الليلـــة نرتجـــل
١/١٠٠	ـ تشيكا ماتســـو	(من الاعمال المختارة) تشيكا مانسو ـ ١
		١ ـ انتحار الحبيبين في سونيزاكي
		٢ ـ معـــارك كوكسينجـــا
٢/١٠١	ـ يوجين اونيـــل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ٢
		١ ـ وراء الافـــق
		٢ ـ انـــا كريستي
٢/١٠٢	ـ جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ـ ٢
		١ ـ الحريـــة المغلولـــة
		٢ ـ صعـــود البطـــل
١٠٣	ـ وليم شكسبير	● ماســـاة عطيـــل
١٠٤	ـ جانلز كوبر.كولين فينيو	١ ـ الطلبـــة المشاغبـــون
		٢ ـ قبـــل يـوم الاثنيـن الموعود
		٣ ـ الليلـــة يـــوم الجمعـــة
١/١٠٥	ـ برانيسلاف نوشيتش	١ ـ حرم سعـــادة الوزير
		٢ ـ الدكتـــور
١/١٠٦	ـ دنيسن جونستون	١ ـ من المسرح الايرلندي ـ القمر فى النهـر الاصفر
١٠٧	ـ تيرانس راتيجـــان	١ ـ بينما تسطـــع الشمس
		٢ ـ المهرجـــون
١٠٨	ـ فرانسواز ساجـــان	● الحصـــان المغمى عليـــه
		● الشوكـــة
٣/١٠٩	ـ تشيكا ماتســـو	(من الاعمال المختارة) تشيكاماشو ـ ٢
		● الصنوبرة المجتثـــة
		● انتحـــار الحبيبين فى آميجيما
٣/١١٠	ـ بروتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٢
		● الام شجاعـــة
		● السيد بنتـــلا وخادمـــه ماتي

العدد	المؤلف	المسرحية
٥/١١١	– يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو – ٥
		● الغضب
		● الملك يموت
		● العطش والجوع
١١٢	– وليم شكسبير	● العاصفة
١١٣	– وليم كونجريف	● هكذا الدنيا تسير
١١٤	– الفونسو ساستري	● الدراما الثورية الاسبانية
		● فصيلة على طريق الموت
		● النطحة
		● الكمامة
٣/١١٥	– يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل – ٣
		١ – مرحلة الواقعية الاولى
		٢ – رغبة تحت شجر الدردار
١١٦	– جان كوكتو	● الآلة الجهنمية
١١٧	– يوهان فلفجانج جيته	● جيتس فون برلشنجن
١١٨	– جان راسين	● ماساة طيبة او الشقيقان
		فيدر
١١٩	– جان انسوى	● ليوكاديا
١/١٢٠	– جاك اوديبرتي	● الشر يستطير
		● الصابرون
٢/١٢١	– جاك اوديبرتي	● مضيفة النزلاء
٢/١٢٢	– بويرو باييخو	● اسطورة دون كيشوت ١٩٦٨
٣/١٢٣	– بويرو باييخو	● حلم العقل
١٢٤	– وليم شكسبير	● مكبث
١٢٥	– جوزيف اوكونر	● القيثارة الحديدية
١/١٢٦	– ادواردو دي فيليبو	١ – عائلتي
		٢ – الاشباح
١٢٧	– جيمس بروم لين	● الزملاء الثلاثة
١٢٨	– برانيسلاف نوفيتس	(من الاعمال المختارة) برانيسلاف
		● ممثل الشعب

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيـــــة
١٢٩	آرثـــر ميللر	● الناشزون
١/١٣٠	ايفـــان سرجيفتش فوجنيف	● العائلـــة ● خيـــال مريض
١٣١	روبرت بولت	● الكـــرز المزهـــر
١٣٢	يوهان فلنجانج جيته	● توركواتوتاســـو
١٣٣	المـــر رايس	● مشهـــد في الطويـــق
١٣٤	وليـــم كونجريف	● حبـــا بحـــب
١٣٥	روبرت بولت	● تحيـــا الملكـــة
١٣٦	الفريد دي موسيه	● لورانـــز الشـــو
١٣٧	يوجين اونيل ـ ٤	من الاعمال المختارة ● الامبراطور جونز ● الغوريلا
١٣٨	سينيكا	● هرقل فوق جبل أويتـــا
١٣٩	موس هارت جورج كوفمان	● دنيـــا زوال
١٤٠	لبير كورنى	١ ـ ميليت ٢ ـ السيد
١٤١	دونا ماكونا	● قفزة فى الخلاء أو ● العجوز المراهق
١٤٢	برانسيسلاف نوشيتس	● المستر دولار
١٤٣	جورج كيلى	● زوجة كريج
١٤٤	كارلو جولدونى	١ ـ التطلع الى المصيف ٢ ـ مغامرات المصيف ٣ ـ العودة من المصيف
١٤٥	فريدرش شلر	● اللصوص
١٤٦	ميجيل ميورا	● ثلاث قبعـــات كوبـــا
١٤٧	جون فورد	● القلب المحطـــم
١٤٨	ت. س. اليوت	● جريمـــة قتـــل فى الكاتدرائيـــة
١٤٩	ت. س. اليوت	● حفـــل كوكتيـــل

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٥٠	كارل توكماير	● نقيب كوبينيك
١٥١	يوجين اونيل – ٥	● الاله الكبير براون
١٥٢	فرديناند اويونو مارولد كمل	مختارات من المسرح الافريقي – ١ ١ – الخـادم ٢ – الزنزانة
١٥٣	ايفان تورجينيف	● شهرفى القرية
١٥٤	فرانس جريليا رتسر	● الجـدة الاولى
١٥٥	برانيسلاف نوشيتس	● المرحـــوم
١٥٦	روبرت بولت	● النمر والحصان
١٥٧	مورين سبارك	● حملة الدكتوراه
١٥٨	فريدرش شلر	● فلهلم تل ١٨٠٤
١٥٩	ادواردو دى فيليبو	● عيد الميلاد فى بيت كوبييللو
١٦٠	كاريل تشابيك	من مسرح الخيال العلمى – ١ انسان روسوم الآلي
١٦١	تولستوى	● أول من صنع الخمر ليلـــة تبكي الملائكة
١٦٢	بيتر ليرسون	زواج لوترو هاديك
١٦٣	جول رومان	● سلطان الظــلام
١٦٤	ايفان تورجينيف – ٢	● الاعـزب
١٦٥	فدبريكو غريسيه لوركا	الانسة روزيتا العانس او لغـة الزهور
١٦٦	يوريبديس	١ – افيجينيافي اوليس ٢ – افيجينيافى تاوريس
١٦٧	يوريبيديس ٤	٣ – اندروماخى ٤ – الطرواديات
١٦٨	فرانس جزيليارتسر – ج ٢	● سابفـــو
١٦٩	ادواردو دى فيليبو	● اصوات الاعماق
١٧٠	رجب تشوسيا	● ابو الهـــول الحي

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٧١	ايفان تورجينيف – ٤	● الريفيـــة
١٧٢	المر ل. رايس	● الآلـــة الحاسبـــة
		من المسرح الافريقي – ٢
١٧٣	جيمس نجوجي	● الناســك الاسود
	سام توليا موهيكا	● ولــد للمــوت
	توم أومارا	● الخـــروج
١٧٤	ديتر فورته	● مصرع كاسبرهاوزر
١٧٥	الكسندر استروفسكى	● الغابــة
١٧٦	جول رومان	● الدكتاتور
١٧٧	أنطونيو جالا	● خاتمان من أجل سيدة
١٧٨	أوجو بتى	● انحراف فى قصر العدالـــة
١٧٩	نيجل دنيس	● أغسطس من أجل الشعب
١٨٠	يوربيديس – ٥	● عابدات باخوس
١٨١	يوربيديس – ٦	● ايــون
١٨٢	يوربيديس – ٧	● هيبوليتوس
١٨٣	طوباز	● مارسيل بانيول
١٨٤	راى برادبورى	من مسرح الخيال العلمى – ٣
		● عمود النـــار
		● الكلايدوسكوب
		● نفير الضبــاب
١٨٥	اوجو بتي	● جريمة فى جزيرة الماعز
١٨٦	بيير كورنى	● ميديــا
١٨٧	كليفورد اوديتس	● الفتى الذهب
١٨٨	تانكرد دورست	● عصر الجليد
١٨٩	بيير كورنى	● الكــذاب
١٩٠	جون جولزورد ذى	● العدالـــة
١٩١	الفريد جارى – ١	(من الاعمال المختارة)
		● أوبو ملكـــا

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٩٢	الفريد جاري ـ ٢	(من الاعمال المختارة) ● اوبو عبدا
١٩٣	الفريد جارى ـ ٣	(من الاعمال المختارة) ● اوبو فوق التل ● اوبو زوجا مخدوعا
١٩٤	ماكسويل اندرسون	ما ثمن المجد ؟
١٩٥	لوبى دى بيجا	● نجمة اشبيلية
١٩٦	هنريك تسين	● وحش طوروس ـ ١
١٩٧	هنريك نسين	● افعل شيئا يامت
١٩٨	كوبينا سكيى	من المسرح الافريقى ـ ٣ ● المتصامون
١٩٩	كويسى كاي	من المسرح الافريقي ـ ٤ ● هرج ومرج في المنزل
٢٠٠	شكسبير	الجزء الاول من حكاية ● الملك هنري الرابع
٢٠١	هنريك ابسن ـ ١	من الاعمال المختارة ● الاشباح
٢٠٢	هنريك ابسن ـ ٢	من الاعمال المختارة ● البطة البرية
٢٠٣	هنريك ابسن ـ ٣	من الاعمال المختارة ● اعمدة المجتمع
٢٠٤	ادواردو دي فيليبو	نابولي مليونيرة
٢٠٥	توماس دكر	● عطلة الاسكافي
٢٠٦	فرناندو ارابال	أو اغنية القطار الشبح الحبل المتهال
٢٠٧	مارسيل بانيول	● ماريوس
٢٠٨	تولستوي	● جثة حية

تابع ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠٩	كليفورد أودتيس	● السكين الكبير
٢١٠	هارولد بنتر	● الارض الحرام
٢١١	الكسندر استروفسكى	● مذنبون بلا ذنب
٢١٢	يوجين أونيل ـ ٤	● رحلة النهار الطويلة خلال الليل
٢١٣	أدوارد بيرسيوريجينلددنهام	● سيدات متقاعدات
٢١٤	جون جولزورذي	● الهارب
٢١٥	اريستوفانيس	● السحب ـ ١
٢١٦	أريستوفانيس	● السحب ـ ٢
٢١٧	وول سوينكا	من المسرح الافريقي ـ ٥ ● مجانين والخصاصيون
٢١٨	وول سوينكا	من المسرح الافريقي ـ ٦ ● الموت وفارس الملك
٢١٩	فيلستينو جورستينا	● لون بشرتنا
٢٢٠	الان ـ رينيه لوساج	● توركاريه
٢٢١	يوكيو ميشيما	● السيده دي ساد
٢٢٢	هارولد پنتر	● الايام الخوالي
٢٢٣	صوفي تريدويل	● الآلية
٢٢٤	تساويوي	● شروق الشمس
٢٢٥	فيليمير لوكيتش	١ ـ الحياة المديدة للملك اوزوالد ٢ ـ المؤامرة
٢٢٦	الكسندر استروفسكي	● العاصفة الرعدية
٢٢٧	ليون تولستوي	● الضوء يسطع فى الظلام.

المترجم : د. فوزي عطية محمد ، من مواليد القاهرة – ج.م.ع أستاذ اللغة الروسية ورئيس قسم اللغات السلافية بكلية الألسن – عين شمس . له أبحاث باللغة الروسية فى مجال الدراسات اللغوية المقارنة ودراسات فى نظرية وتطبيق الترجمة . ومن مؤلفاته « علم الترجمة » ، قاموس « الكنايات والأقوال والأمثال الشعبية » روسى – عربي .

المراجع :

د. نادية امام سلطان ، من مواليد الاسكندرية – ج.م.ع. استاذة مساعدة الادب الروسي بكلية الالسن – جامعة عين شمس لها عدة أبحاث بالروسية والعربية مثل : (أدب الأطفال عند ليون تولستوى) ، (أثر الحضارة الاسلامية فى الأدب الروسى المعاصر) و (تصوير المرأة فى الأدب المصرى الحديث) .

الاشتراكات

الجهة	قيمة الاشتراك ف.	قيمة الاشتراك د.
البلاد العربية	٠٠٠	٣
البلاد الاجنبية	٥٠٠	٣

تحول قيمة الاشتراك بالدينار الكويتي لحساب وزارة الاعلام بموجب حوالة مصرفية خالصة المصاريف على بنك الكويت المركزى ، وترسل صورة عن الحوالة مع اسم وعنوان المشترك الى :

المكتب الفني
ص.ب (١٩٣)
الكويت

وزارة الاعلام

الثمن

الكويت	١٥٠ فلسا	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٢٠ بايا
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبي	١٢٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الاردن	١٥٠ فلسا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلسا
سوريا	١,٥ ليرة	القاهرة	٢٠٠ مليما	الخليج العربي	٢ ريال
لبنان	١,٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليما		

في العدد القادم

※ سيدة الفجـر (١٩٤٤)

تأليف : اليخاندرو كاسونا (١٩٠٣) ترجمة : محمد العشيرى

ان الفلسفة الأساسية التى تقوم عليهـا اغلب مسرحيات اليخاندرو كاسونا تمثل انعكاسا صريحا لسيرة حياته الشخصية . وخاصـة فى نزوعه الى عالم الخيال والحلـم ، ولهـذا فالجانب المعجز في عالمه هو خلق ذلك الانسجام البديع بين عالمين يحكم العلاقة الأزلية بينهما التضاد ، فالخيال كان دائما نقيض الواقع ، والانسان فى محاولته تحقيقه لطموحاته فى الواقع كان المطلوب منه دائمـا الابتعاد عن الاحلام والخيال ، ولكن ان يعيش الانسان ضمن بعد واحد هو الخيال ، فقد يؤدى ذلك الى فقده لانسانيته ، وكـذلك الضرر فى النقيض فعندما يعيش الانسان فى البعد الآخر المتمثل في الواقع فقد يؤدى ذلك لفقره الروحى . ومن هنا تنعكس انسانية مسرح كاسونا فى محاولته لخلق الثقة بالنفس البشرية كي تصمد امام الظروف المعادية والتى تحول دون تحقيقها لسعادتها .

وفى مسرحيتنا هذه تبرز عبقريته فى لمسة شاعرية حيث يدخل من عالم الخيال ويسقطه بالحاح السؤال الازلي فى بحثه عن حقيقة لغز الموت . فالموت يتجسد ليفول كلمنه لانصاف الواقع . فأهل القرية يحملون كل آيات التبجيل والقداسة للزوجة التى ابتلعها النهر منذ اربـع سنوات ولكنها تعـود لتحطـم النزوع البشري الجميل نحو عوالم الخيال والنقاء بعيدا عن مادية وقسوة الواقع . تعود مهانة نادمة بعد ان تركها عشيقها الذي هربت معه منذ زمن ، وتركت الزوج وحيدا يجتر الذكرى المريرة ، وتأبى عليه كرامتـه الاعتراف بالحقيقة . وهنا يتدخل الموت ليقنعها بالذهاب معـه وترك القرية لأحلامها بسلام .....

في هذا العدد

الضوء يسطع فى الظلام

تأليف : ليون تولستوى **ترجمة : د. فوزي عطيه محمد**

يمكن تجاوزا تسمية هذه المسرحية « بالمسرحية الناقصة »، اسوة برائعة شوبرت « السمفونية الناقصة » ومع الفارق يظل هذا النقص أحد جوانب الابداع في سيمفونية شوبرت ومسرحية « **الضوء يسطع فى الظلام** »، التى لم يستطع تولستوى اكمالها في خمسة فصول فاكتفى بأربعة . وربما يكون مصدر الابداع هو ذلك الغموض والاحساس بأن شيئا غامرا من نفس المبدع ظل هلاميا وشفافا يبحث عن اجابات في سعيه نحو الراحة والكمال .

والسؤال الذي بدا بسيطا في شكله يؤكد هذا الغموض ويجرنا في رحلة عبر عالم تولستوى الواقعي : ما معنى الحياة وما الهدف الذي يحيا من أجله المرء ؟ . ومن هنا تبدأ رحلة بطل مسرحيتنا نيقلاى ايفانفتش حيث يحاول ان يحقق الانس... في علاقاته بربه وبنفسه وبغيره من بني البشر . وفي تطبيق... يرى بطلنا الضوء يسطع في ظلام نفسه والعالم ، ولكن خيبة ومصيبته تأتي من قلة اولئك الذين لا يرون هذا الضوء ، فالك... يفضلون اغماض الاعين عنه واتباع ظلام الانانية والتسل... فيستكين ويقبل الامر الواقع ويسلم امره الى خالقه لينق... من محنته .